جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

الجوانب النفسية لقصة موسى (عليه السلام)

في ضوء القرآن الكريم

دراسة تفسيرية موضوعية

إعداد الدكتور

محمد السيد عبد العظيم النشاوي
مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة

الجوانب النفسية لقصة موسى (عليه السلام) في ضوء القرآن الكريم
دراسة تفسيرية موضوعية

د. محمد السيد عبد العظيم النشاوي
مدرس التفسير وعلوم القرآن بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بالقاهرة، جامعة الأزهر- مصر
البريد الالكتروني: MohamedAlnchaoy.11 @azhar.eg

ملخص البحث

تناول البحث التعريفَ بعنوان "**الجوانب النفسية**". ثم الحديثَ عن الجوانب النفسية لقصة موسى (عليه السلام) في ضوء القرآن الكريم، بدءا من شخصية سيدنا موسى نفسه (عليه السلام)، من حيث التزامُه بضوابط الرسالة، وهمه النفسي إلخ. ثم شخصية أم موسى (عليه السلام)، من حيث قرارُ عينها، وأثر حالتها النفسية على رضيعها إلخ. ثم شخصية امرأة فرعون، من حيث ميلُها الفطري نحو الأولاد الذكور، وتغليبها العاطفة على العقل إلخ. ثم شخصية أخت موسى (عليه السلام)، من حيث استعدادُها لاستمالة ذوي الشأن. ثم شخصية السحرة، من حيث ثقتُهم بأنفسهم، وانعدام ثقتهم بفرعون إلخ. ثم شخصية مؤمن آل فرعون، من حيث استعطافه وشفقته أثناء قيامه بواجب النصح لقومه. ثم شخصية ابنتي الشيخ الكبير، من حيث الحرصُ على تبرير المواقف، وشدة الحياء إلخ. ثم شخصية فرعون، من حيث التثاقلُ النفسي عند مواجهة موسى (عليه السلام)، وشدة غضبه على مؤمني السحرة إلخ. ثم شخصية قوم موسى (عليه السلام)، من حيث تفرقُ قلوبهم، وتقاعسُهم عن نصرة نبيهم (عليه السلام).

ثم ذَيَّلْتُ البحثَ بخاتمة فيها أهم النتائج، وفهرسِ المصادر، وفهرس الموضوعات.

الكلمات المفتاحية: جوانب – نفسية – قصة – النبي موسى – ضوء – القرآن الكريم.

The Psychological Aspects in the Story of Prophet Moses (BPUH) in Light of the Glorious Qur'an: A *Tafsir*-based Thematic Study

Dr. Muhammad al-Sayyed Abdul 'Azim al-Nechawy
Lecturer of *Al-Tafsir* and Qur'anic Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies in Cairo – Male Branch, Al-Azhar University, Egypt
Email: MohamedAlnchaoy. 11 @azhar.edu.eg

Abstract

At first, the present research investigates what is meant by the term 'psychological aspects,' included the title. Then it studies the psychological aspects in the story of Prophet Moses (BPUH) in light of the Glorious Qur'an. These aspects are elaborated on by analyzing the personality of different characters as follows: the personality of Prophet Moses (PBUH) in terms of his commitment with his mission, and his psychological concern, etc.; the personality of the mother of Moses (PBUH) in terms of the lightness of her heart, the impact of her psychological state on her baby, etc.; the personality of the Pharaoh's wife in terms of her innate tendency towards male children, her preference for emotion over the mind, etc.; the personality of Moses' sister in terms of her skill in influencing the high profile people; the personality of magicians in terms of their self-confidence, lack of confidence in the Pharaoh, etc.; the personality of the believer who belonged to the house of the Pharaoh in terms of the sympathy and compassion he showed while performing the duty of advice to his people; the personality of the two daughters of the old man in terms of their keenness to justify their stances, their extreme shyness, etc.; the personality of the Pharaoh in terms of the psychological heaviness he was feeling when confronting Moses (PBUH), his deep anger at the magicians who believed in Moses (PBUH), etc.; and the personality of the people of Moses (PBUH) in terms of their division and failure to support their Prophet, Moses (PBUH). At the end of the research, there are a conclusion which presents the key results, a bibliography, and a table of contents.

Key Words: Aspects – Psychological – Story - Prophet Moses – Light - Glorious Qur'an.

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله تعظيما لشانه، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، وأصلي وأسلم عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم الدين، **وبعد**،،،

فإن فهم القرآن الكريم يوصل الإنسان إلى معرفة ذاته وكنه نفسه، وتتفتح له كنوز أسرار النفس.

وعلى الرغم من القراءة المتكررة في كتب علم النفس والتحليل النفسي، إلا أنني لم أفهم الجوانب النفسية للذات البشرية جيداً- وخصوصا فيما يتعلق بطبيعة المرأة- إلا بالرجوع إلى خالق النفس وبارئها (ﷻ)، وإلى القرآن الكريم الأصل الأصيل لكل العلوم.

فالإنسان بعلمه المحدود لا يستطيع أن يحيط بمعرفة النفس البشرية من جميع جوانبها، قال تعالى: ﴿**أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ**﴾(١).

كما أن فهم الجوانب النفسية في شخصيات القصة القرآنية مما يفيد كثيرا في توجيه السلوك الإنساني وتطويره نحو الأفضل (الصحة النفسية).

وللأسف توجد نظرة غير صحيحة إلى علم النفس؛ إذ يظن البعض أنه علم يقتصر على دراسة المرضى نفسيا، وهذه مشكلة بحثية، فأردت أن أثبت من خلال القرآن الكريم خطأ هذه النظرة.

ومن ثَمَّ جاء البحث بعنوان: الجوانب النفسية لقصة موسى (عليه السلام) في ضوء القرآن الكريم دراسة تفسيرية موضوعية، وسلكتُ في ذلك المنهجَ الاستقرائي التحليلي(٢).

---

(١) سورة تبارك ٦٧ الآية ١٤.

(٢) المنهج الاستقرائي: هو تتبع الجزئيات المتجانسة في شيء مًّا بقصد تركيب صورة كلية منها؛ لإنتاج قاعدة، أو تعميم حكم، فإذا كان التتبع شاملاً لكل الجزئيات سُمِّي ذلك=

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

١- عدم وجود مؤلف مفرد بهذا العنوان.

٢- الحاجة إلى معرفة هذا اللون من التفسير النفسي[١] الذي يعين على فهم كتاب الله.

٣- الكشف عن الجوانب النفسية المتعلقة بطبيعة الإنسان وخصوصاً المرأة في قصة موسى (عليه السلام) من خلال القرآن الكريم.

٤- ألقيت الضوء على قصة موسى (عليه السلام)؛ لأنه النبي الوحيد من بين الأنبياء جميعا الذي تناول القرآن الكريم سيرته بتفصيلٍ دقيق وإحاطةٍ شاملة لكل ما يتعلق بنشأته منذ الطفولة المبكرة حتى مرحلة تلقيه الوحي وقيامه بالتبليغ، فقصته أطول قصة ذكرت وتكررت في القرآن على الإطلاق، الأمرُ الذي أدى إلى كثرة الآيات القرآنية المشتملة على الجوانب النفسية، حتى صارت كافية لبحث مستقل.

إضافة إلى أن شخصيات تلك القصة ذوات بشرية، مما يسمح بمحاولة معالجتها ودراستها من الداخل أو الجوهر.

=بالاستقراء التام، وإذا كان مُهْمِلاً لبعضها سمِّي بالاستقراء الناقص. أما المنهج التحليلي: فهو منهج يقوم على دراسة الإشكالات العلمية التي تتعلق بالنص القرآني من ناحية التقديم والتأخير، أو التعريف والتنكير، أو المجمل والمبين إلخ تفكيكاً أو تركيباً أو تقويماً، فإن كان الإشكال تركيبَةً منغلقة، قام المنهج التحليلي بتفكيكها، وإرجاعِ العناصر إلى أصولها، أما إذا كان الإشكال عناصر متناثرة، فإن المنهج يقوم بدراسة طبيعتها ووظائفها؛ ليُركِّب منها نظرية ما، أو أصولاً ما، أو قواعد معينة. كما يمكن أن يقوم المنهج التحليلي على تقويم إشكالٍ ما أي: نقده. أبجديات العلوم لفريد الأنصاري صـــ٩٦، ١٨٦ بتصرف.

(١) التفسير النفسي هو: الذي يقوم على أساس وطيد من صلة الفن القولي للقرآن بالنفس الإنسانية، وإن الفنون على اختلافها ومن بينها البلاغة ليست إلا ترجمة لما تجده النفس. اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر ٨٩٨/٣. إذن معنى التفسير النفسي يدور حول دراسة الآيات المتعلقة بالنفس الإنسانية.

أهداف البحث

١- أن يتعرف القارئُ السلوكَ الإنساني وتحليله من خلال النماذج القرآنية في قصة موسى (عليه السلام).

٢- أن يتدبر القارئُ الآياتِ القرآنية لقصة موسى (عليه السلام) ويتعايش معها.

٣- أن يستفيد القارئُ كيفيةَ التعامل مع النفس البشرية وحل المشكلات.

إجراءات البحث

١- سوف أستقرِئُ الآيات القرآنية المتعلقة بقصة موسى (عليه السلام)، ثم أعنون لكل آية بعنوان مناسب من الجوانب النفسية.

٢- سوف أرتب آيات القصة على حسب ترتيب التلاوة في المصحف، مع عزوِها إلى اسم السورة ورقْمها ورقْم الآية في الهامش، وكذا الآيات التي تأتي عرضاً في ثنايا البحث، فإني أعزوها إلى سورتها ورقْمها ورقْم الآية في الهامش.

٣- سوف أشرح وأحلل دلالات الكلمات القرآنية التي تحتاج إلى شرح؛ لأجل إبراز الجوانب النفسية فيها.

٤- سوف أرجع إلى كتب التفسير بأنواعها؛ مستعينا بأقوال المفسرين؛ للوصول إلى المقصود.

٥- سوف أعزو القراءات إلى أصحابها في كتب القراءات إن ورد ذكرها فيها، مع الحكم عليها، وإلا فمن كتب التفسير.

٦- سوف أعزو الأحاديث النبوية والآثار إلى كتب السنة، مع ذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة، ومراعاة أنه إذا كان الحديث أو الأثر في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذكر ذلك، أما إذا كان في غيرهما توسعت في عزوه مع ذكر حكم رجال الحديث الثقات أو أحدهم عليه، فإن لم أجد لهم حكماً اجتهدت فحكمتُ عليهما من خلال قواعد الجرح والتعديل، والله المستعان.

٧- سوف أرجع إلى كتب علم النفس والتحليل النفسي، التي تساعد على إبراز الجانب النفسي في آيات القصة ما أمكن.

٨- سوف أذكرُ بإيجاز بيانات المصدر أو المرجع في هامش البحث مكتفياً بذكر المصدر أو المرجع ومؤلفه والجزء والصفحة، مع تأخير ذكر البيانات كاملة إلى فهرس المصادر والمراجع، ذاكراً: اسم الكتاب، واسم المؤلف، وبيانات النشر متضمنة: دار النشر، ومكان النشر، ورقم الطبعة، وتاريخها، واسم المحقق، كل ذلك إن وجد.

الدراسات السابقة

لم أقف على بحث مستقل يحمل هذا العنوان أو قريبا منه، ووجدت بعض الدراسات التي تُعْنَى بهذا الجانب على وجه العموم، وهي كالتالي:

١- **التعبير القرآني والدلالة النفسية**[(١)]، تأليف: د/عبد الله محمد الجيوسي، حيث تناول الأبعاد النفسية في القرآن الكريم عموما، فكانت بمثابة الإشارات النفسية، ومما يحمد لصاحبه أنه أميل لجانب التطبيق على عكس الكثير من الدراسات النفسية القرآنية.

٢- **الأبعاد النفسية للألفاظ في القرآن الكريم**[(٢)]، تأليف: مجيب سعد الكرعاوي، وقد تناول فيه المفردة القرآنية، من حيث تشكيلُ الحروف وحركاتها، واجتماعُها، وجرسُها، ورسمُها؛ ومعناها؛ لإبراز الدلالة النفسية للمفردة القرآنية.

٣- **الإعجاز النفسي في الخطاب القرآني**[(٣)]، إعداد: قويدر قيطون، حيث تتبع محتويات الخطاب القرآني؛ لاستخراج دلالاته النفسية، من خلال الأمثلة الدقيقة التي توضح هذا الجانب.

---

(١) دار الغوثاني للدراسات القرآنية- دمشق، طـ١، سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.

(٢) جامعة الكوفة- مركز دراسات الكوفة، العدد العشرون، سنة ٢٠١١م.

(٣) رسالة دكتوراه، إشراف: د/عزيز لعكايشي، جامعة قسطنطينية- كلية الآداب واللغات، سنة ٢٠١٤م-٢٠١٥م.

٤- **الإعجاز النفسي في القرآن الكريم**[١]، تأليف: عبد الله عبد الرحمن أبو السعود، فقد تحدث عن فكرة الإعجاز النفسي عند المنكرين والمثبتين، وعن صفات النفس الإنسانية عموما من شهوة وخوف وطمع، وعن العيوب النفسية من حقد وحسد وغضب، وطريقة علاجها في القرآن.

٥- **لمحات نفسية في القرآن الكريم**[٢]، تأليف: عبد الحميد محمد الهاشمي، وقد فصّل الحديث عن البناء النفسي للشخصية منذ مرحلة الأجنة إلى الشيخوخة، وما يعتريها من مشاعر مختلفة كالحب والحقد والخوف، وأشار إلى المواقف النفسية لبعض الشخصيات القرآنية.

وعليه فالملاحظ أن معظم الدراسات السابقة كان جل مضمونها يدور حول حديث القرآن عن جوانب النفس الإنسانية عموما، ولم تتشغل بالدراسة والتركيز على الجوانب النفسية للشخصيات القرآنية في قصة موسى (عليه السلام) خصوصاً.

خطة البحث

يتكون البحث من: **مقدمة، وتمهيد، وتسعة مباحث، وخاتمة، وفهارس.**

- أما **المقدمة** تشتمل على:

أهمية الموضوع وسبب اختياره- أهداف البحث- خطوات البحث- الدراسات السابقة- خطة البحث.

- وأما **التمهيد** فيشمل التعريف بالجوانب النفسية.
- وأما **المبحث الأول:** فيشتمل على الجوانب النفسية في شخصية موسى (عليه السلام).
- **والمبحث الثاني:** الجوانب النفسية في شخصية أم موسى (عليه السلام).

---

(١) رسالة ماجستير، إشراف: د/ محمد خازر المجالي، الجامعة الأردنية، كلية الدراسات العليا، سنة ٢٠٠٥م.

(٢) طبعة رابطة العالم الإسلامي بمكة، سلسلة دعوة الحق، العدد الحادي عشر، سنة ١٤٠٢هـ.

- **والمبحث الثالث:** الجوانب النفسية في شخصية امرأة فرعون.
- **والمبحث الرابع:** الجوانب النفسية في شخصية أخت موسى (عليه السلام).
- **والمبحث الخامس:** الجوانب النفسية في شخصية السحرة.
- **والمبحث السادس:** الجوانب النفسية في شخصية مؤمن آل فرعون.
- **والمبحث السابع:** الجوانب النفسية في شخصية ابنتي الشيخ الكبير.
- **والمبحث الثامن:** الجوانب النفسية في شخصية فرعون.
- **والمبحث التاسع:** الجوانب النفسية في شخصية قوم موسى (عليه السلام).
- وأما **الخاتمة:** ففيها أهم ما توصلت إليه من نتائج ومقترحات من خلال البحث.
- وأما **الفهارس:** فتشتمل على:
- **فهرس المصادر والمراجع.**
- **فهرس الموضوعات.**

تمهيد

في تعريف الجوانب النفسية

الجوانب: جمع جانب، وهو الناحية، قال في اللسان: والجانبُ شِقُّ الإنسانِ وغيره...، والجانبُ أيضا الناحية(١).

النفسية: نسبة إلى النفس، **وهي في اللغة:** لفظ مشترك يطلق على عدة معانٍ: الروح والعقل والإنسان والدم.

تقول: "خرجتْ نفسُ فلانٍ" أي روحه. و"النَّفْسُ ما يكون به التمييز" أي العقل. و"رأيتُ نفساً واحدة" أي إنسانا. و"لا نَفْسَ لَهُ سائلةٌ" أي لا دم له سائل(٢).

وعلم النفس في الاصطلاح:

١- هو الذي يدرس الحياة النفسية وما تتضمنه من أفكار ومشاعر وإحساسات وميول ورغبات وذكريات وانفعالات.

٢- هو الذي يدرس سلوك الإنسان، أي ما يصدر عنه من أفعال وأقوال وحركات ظاهرة.

٣- هو الذي يدرس أوجه نشاط الإنسان وهو يتفاعل مع بيئته ويتكيف لها(٣).

وهذه التعاريف الثلاثة تبدو متعارضة تدرس ظواهر مختلفة، غير أنها في الواقع متكاملة، تتضمن مباحث علم النفس الثلاث، وهي:

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٢٧٥/١، ٢٧٨ بتصرف، مادة: جنب.

(٢) مدارج القدس للغزالي صـــ١٥، ولسان العرب لابن منظور ٢٣٣/٦- ٢٣٥، مادة: نفس. بتصرف.

(٣) أصول علم النفس لأحمد عزت صـــ٣.

أولا: النشاط الجسمي: وهو كل ما يصدر عن الإنسان من سلوك حركي أو لفظي كالكتابة والكلام والضحك والابتسام.

ثانيا: النشاط العقلي: وهو كل ما يصدر عنه من نشاط عقلي كالتذكر والتخيل.

ثالثا: النشاط الوجداني: وهو كل ما يستشعره من تأثرات وجدانية وانفعالية، كالشعور بالضيق أو الارتياح، أو بالحزن أو الفرح[1].

وعليه فالجوانب النفسية هي: ظواهر عقلية أو حركية أو وجدانية، كلها تشترك في أنها أوجهُ نشاطٍ تعكس تأثر الإنسان ببيئته وتأثيره فيها.

(١) أصول علم النفس لأحمد عزت صـــ٥ بتصرف.

المبحث الأول

الجوانب النفسية في شخصية موسى (عليه السلام)

ويشتمل على ستة عشر مطلبا:

- **المطلب الأول:** جانب التقيد بضوابط الرسالة.
- **المطلب الثاني:** جانب سيطرة الغضب عند موسى (عليه السلام).
- **المطلب الثالث:** جانب كمال التجاء موسى (عليه السلام) إلى ربه.
- **المطلب الرابع:** جانب الإلماح بفعل الخضر إلى وقوع مثله لموسى (عليه السلام).
- **المطلب الخامس:** جانب الهمِّ النفسي وزواله عند موسى (عليه السلام).
- **المطلب السادس:** جانب ازدحام المشاعر عند موسى (عليه السلام).
- **المطلب السابع:** جانب الطمأنينة عند موسى (عليه السلام).
- **المطلب الثامن:** جانبا المشقة والسهولة عند موسى (عليه السلام).
- **المطلب التاسع:** جانب ضيق المقام عند موسى (عليه السلام).
- **المطلب العاشر:** جانب احتواء الحوار والسيطرة عليه.
- **المطلب الحادي عشر:** جانب غريزة الخوف عند موسى (عليه السلام).
- **المطلب الثاني عشر:** جانب الأدب مع الله (عز وجل).
- **المطلب الثالث عشر:** جانب الراحة النفسية عند موسى (عليه السلام).
- **المطلب الرابع عشر:** جانب التريث والتمهل عند موسى (عليه السلام).
- **المطلب الخامس عشر:** جانب الأُنس عند موسى (عليه السلام).
- **المطلب السادس عشر:** جانبا العزيمة والقوة عند موسى (عليه السلام).

المطلب الأول
جانب التقيد بضوابط الرسالة

القَيْدُ: معروف، وقد قَيَّده يُقيده تَقْيِيدًا. ويقال: القَيْدُ ثباتٌ في الدين. وفي الحديث: «**قَيَّدَ الْإِيمَانُ الْفَتْكَ**[1]»[2]، ومعناه: أن الإيمانَ يمنع عن الفتكَ بالمؤمن، كما يمنع ذا العَيْثِ[3] عن الفساد[4]. وفي عبارة ابن الأثير: كما يمنع القَيْدُ عن التصرف، فكأنه جعل الفتكَ مقيَّدًا[5].

والمراد – هنا– أن موسى (عليه السلام) كان مقيَّدًا بتعاليم الرسالة وملتزمًا بمبادئها، فعلى الرغم من حدة المزاج التي ظهرت من موسى (عليه السلام)[6]– إلا أنه لم يكن يخرج في حواره مع قومه عن خط الرسالة وحدودها، علما بأن كثيراً من المواقف كانت تهدف إلى جلْبه إلى أغراضهم في الحوار واستفزازه؛ ليفقد صوابه.

---

(١) الفتك هو: القتل بعد الأمان غدرا. فيض القدير للمناوي ١٨٦/٣.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٢٩٨/٥، بهذا اللفظ. وأحمد في مسنده ٤١/٣، قريبا منه، كلاهما عن الزبير بن العوام (رضي الله عنه). والحاكم أيضا في المستدرك ٥٠٣/٤، قريبا منه عن أبي هريرة، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه اهـ. وسكت عنه الذهبي. وقال المناوي في فيض القدير ١٨٦/٣: سنده جيد.

(٣) أي ذا الفساد.

(٤) لسان العرب لابن منظور ٣٧٢/٣، مادة: قيد. وفتح الباري لابن حجر ٤٠٨/١٢. بتصرف.

(٥) النهاية ١٣٠/٤.

(٦) ويدل على هذه الحدة قولُه تعالى: ﴿**فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ**﴾ الآية ١٥ من سورة القصص ٢٨، وقوله تعالى: ﴿**وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ**﴾ الآية ١٥٠ من سورة الأعراف ٧، وغيرها.

من ذلك قولُ بعض بني إسرائيل[1] لموسى (عليه السلام) بعد رؤيتهم ما رأوا من الآيات، قال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[2].

"فواضح أن هذا الموقف منهم من شأنه أن يثير في نفس نبيهم جوانب الانفعال الشديد الذي ربما يؤدي إلى فقد الصواب والهدوء في رد الفعل، لكن سيدنا موسى (عليه السلام) على الرغم من كل ذلك- يأتي جوابه منسجماً مع رسالته: ﴿قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾، فمزاج الرسالة هو مزاجه، والغضب العاقل هو غضبه"[3].

قال صاحب تفسير المنار: وَصَفَهَم بالجهل المطلق غَيْرَ متعلِّقٍ بشيء[4]، وهو يشمل كل ما يصلح له، من الجهل الذي هو فقد العلم، والجهلِ الذي هو سفهُ النفس وطيشُ العقل، وأَهَمُّهُ المناسبُ للمقام جهلُ التوحيد، وما يجب من إفراد الرب تعالى بالعبادة من غير واسطة إلخ [5].

أي أن الانحراف عن التوحيد إلى الشرك إنما ينشأ من الجهل والحماقة، وأن العلم والتعقل يقودان إلى اللّه الواحد.

---

(١) قال الفخر في مفاتيح الغيب ٢٣٢/١٤: فإن قيل: فهذا القول صدر من كل بني إسرائيل أو من بعضهم- قلنا: بل من بعضهم لأنه كان مع موسى (عليه السلام) السبعون المختارون، وكان فيهم من يرتفع عن مثل هذا السؤال الباطل اهـ. وينظر غرائب القرآن للنيسابوري ٣١٠/٣.

(٢) سورة الأعراف ٧ الآيات ١٣٨-١٤٠.

(٣) أسلوب الحوار في القرآن الكريم لعبد الله الجيوسي صـ٢٠ بتصرف.

(٤) فلم يقل: تجهلون كذا، فأفاد بذلك العموم.

(٥) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١١٠/٩ بتصرف.

المطلب الثاني

جانب سيطرة الغضب عند موسى (عليه السلام)

الغضب في البشر هو: نوعُ تغيُّر يحدث عند ثوران دم القلب؛ لإرادة الانتقام، ولذلك قال سيدنا محمد (ﷺ): «**اتَّقُواْ الْغَضَبَ؛ فَإِنَّهُ جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى انْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ وَحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ؟**»[1]. فإن أول الغضب غليان دم القلب، وغايته: إيصال العقاب إلى المغضوب عليه. وقد قُسِّمَ الغضبُ في جانب المخلوق إلى: محمود، ومذموم، فالأول: ما كان في جانب الدِّين، والحق، والثاني: ما كان في خلافه[2].

وقد كان الغضب المحمود واضحا في جانب موسى (عليه السلام)، وظهر في مواقف عديدة، منها غضبه (عليه السلام) على قومه بسبب عبادتهم العجل:

١- قال تعالى: ﴿**وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ**﴾[3] الآيـــة. وقـــال تعالى: ﴿**وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ**﴾[4] الآية.

---

(١) جزء حديث رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٦٥/١٣. والترمذي- بلفظ قريب- في سننه، الفتن/ما جاء بما أخبر النبي (ﷺ) أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، ٤٨٣/٤، وقال: حسن صحيح اهـ. والحاكم أيضا- بلفظ قريب- في المستدرك ٦٧٦/٤، جميعا عن أبي سعيد الخدري. قال المبار كفوري معلقا على رواية الترمذي: هذا حديث حسن في سنده عليّ بن زيد بن جُدْعَان وهو صدوق عند الترمذي، ضعيف عند غيره اهـ. تحفة الأحوذي ٤٣٢/٦. وتمامه عند ابن أبي شيبة بلفظه: «**اتَّقُوا الْغَضَبَ فَإِنَّهَا جَمْرَةٌ تُوقَدُ فِي قَلْبِ ابْنِ آدَمَ، أَلَمْ تَرَوْا إِلَى انْتِفَاخِ أَوْدَاجِهِ وَحُمْرَةِ عَيْنَيْهِ؟ فَمَنْ أَحَسَّ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَلْيَلْزَقْ بِالْأَرْضِ**». قال في النهاية ١٦٥/٥: الأوداجُ: ما أحاط بالعنق من العروق التي يقطعها الذابح، واحدُها وَدَجٌ بالتحريك اهـ.

(٢) المفردات للراغب صـــ٣٦١. والكليات للكفوي صـــ٥٠٥، فصل الغين. بتصرف.

(٣) سورة الأعراف ٧ من الآية ١٥٠.

(٤) السورة السابقة من الآية ١٥٤.

حيث جاء التعبير القرآني بالفعل ﴿**سَكَتَ**﴾ دون "سكن"[(١)]؛ للكشف عن الخَبِيء من المشاعر والدفين في النفس وهو: تشخيص الغضب[(٢)] وسيطرته، فكأنما هو شخص حي، وكأنما هو مُسَلَّطٌ على موسى، يدفعه ويحركه ويحثه على الانفعال، وهل الغضب إلا شعور يتلبس بصاحبه فيُفقده السيطرة على نفسه؟ حتى إذا سكت وكف عن دفع موسى وتحريضه- عاد موسى إلى طبيعته، فأخذ الألواح التي كان قد ألقاها بسبب دفع الغضب له وسيطرته عليه.

قال الزمخشري: هذا مَثَلٌ، كأن الغضب كان يغريه على ما فعل، ويقول له: قل لقومك كذا، وألقِ الألواحَ، وجُرَّ برأس أخيك إليك، فترك النطق بذلك وقطع الإغراء[(٣)]. ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كلُّ ذي طبعٍ سليم وذوقٍ صحيح؛ إلا لذلك؛ ولأنه من قبيل شعب البلاغة. وإلا فما لِقراءة معاوية بن قرة: «**وَلَمَّا سَكَنَ عَنْ مُوسَى الغَضَبُ**»[(٤)] لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة، وطرفاً من تلك الروعة[(٥)]؟

٢- قوله تعالى: ﴿**وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا**﴾[(٦)].

---

(١) أصل السكوت: السكون، وهو قول أهل العربية. معاني القرآن للزجاج ٣٧٩/٢. ولسان العرب لابن منظور ٤٤/٢، مادة: سكت. بتصرف.

(٢) حيث شبه الغضب بشخص بجامع الإرادة، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو السكوت على سبيل الاستعارة المكنية، وإثبات لازم المشبه به للمشبه وهو السكوت للغضب تخييل.

(٣) حين قَبِلَ العذر من أخيه هارون.

(٤) قراءة شاذة، مخالفة لرسم المصحف، نسبها إلى معاوية بن قرة- ابنُ خالويه في شواذ القرآن صـــ٥١. والكرمانيُّ في شواذ القراءات صـــ١٩٥. وأوردها دون أن ينسبها العكبَريُّ في إعراب القراءات الشواذ ٥٦٥/١.

(٥) الكشاف ٥١٣/٢-٥١٥.

(٦) سورة طه ٢٠ من الآية ٩٧.

حيث عبر بالتشديد في لفظة: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُ﴾ الدال على التكثير، والمعنى: نحرقه مرة بعد مرة كما أشار إليه الزجاج[1]؛ جريا على قاعدة: زيادة المبنى تقابلها زيادة المعنى[2].

وهذا التشديد في الفعل المضارع يشير إلى جانب نفسي عند موسى هو: الرغبة في الانتقام والتشفي؛ غضبة لله ولدينه، حيث يستحب الغضب وتحسن الشدة إذا انتهكت حرمات الله (عز وجل).

وبهذا الجانب النفسي وصفتْ عائشةُ رسولَ الله فقالت: «**مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ) شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلاَ امْرَأَةً، وَلاَ خَادِمًا، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ** (عز وجل)»[3].

وكذلك أيضاً جاء التعبير بـــ "ثم" الدالة على المهلة في لفظة: ﴿**ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ**﴾؛ لإبراز الجانب النفسي ذاته، حيث إن معاودة الإحراق للإله المزعوم تستغرق وقتا ومهلة قبل عملية النسف في اليم.

أي: أما هذا العجل الذي فَتَنْتَ- أيها السامري- به بني إسرائيل وعكفتَ عليه وعكف عليه بنو إسرائيل معك- فلنحرقنه ولنحطمنه ثم لننسفنه في الماء.

---

(١) معاني القرآن ٣/٣٧٥.

(٢) قال ابن جني- في الخصائص ٣/٢٦٤-: باب في قوة اللفظ لقوة المعنى اهـــ. وقال الصبان- في حاشيته ٢/٤٤٨-: زيادة البناء تدل على زيادة المعنى اهـــ.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل/باب مباعدته (ﷺ) للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، ٧/٨٠.

المطلب الثالث

جانب كمال التجاء موسى (عليه السلام) إلى ربه

قال تعالى على لسان موسى (عليه السلام): ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[1]، وقال تعالى لنبيه محمد (ﷺ): ﴿وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا﴾[2].

حيث ذكر ياء المتكلم في سورة القصص فقال: ﴿يَهۡدِيَنِي﴾ على الأصل، بينما حذفها في سورة الكهف مع الخطاب لنبيه محمد (ﷺ) فقال: ﴿ يَهۡدِيَنِ ﴾ وعوض عنها بالكسرة، فما الحكمة؟

وذلك أن المقام في القصص يستدعي إبراز ياء المتكلم؛ لأنه مقام خوفٍ وخشية، والخوف يستدعي أن يلتصق الإنسان بمن يحميه ويُلقيَ بنفسه كلِّها عليه، وأن يلتجئ إلى من ينصره بكل أحاسيسه ومشاعره التجاءً كاملاً، فقد خرج موسى (عليه السلام) خائفاً يترقب فاراً من بطش فرعون، فالتجأ إلى ربه التجاء الخائف الوَجِلِ، طالباً منه أن يهديه الطريق فلا يضل عند توجهه إلى مدين، وهذا كله جَوٌّ يحتاج إلى بسط وتطويل في الدعاء، ولذا طوَّل الفعل فأظهر الياء؛ إشارة إلى جانب نفسي هو: "كمال الالتجاء وإلقاء النفس كلِّها أمام خالقها"[3].

بخلاف ما في الكهف فالمقام فيها يختلف، حيث لا خوف ولا فرار من بطش المشركين، بل المقام فيها مقامُ ذكرِ القول الحقِّ فيما اختلفت فيه الأقوال، وبيانِ الأمر الصحيح فيما تباينت فيه الآراء، وهذا أمر يحتاج إلى الهداية والرَّشَد، فأوجز القول فحذف الياء من الفعل.

---

(١) سورة القصص ٢٨ من الآية ٢٢.

(٢) سورة الكهف ١٨ من الآية ٢٤.

(٣) التعبير القرآني لفاضل السامرائي صـ٨٤، ٨٥ بتصرف يسير.

المطلب الرابع

جانب الإلماح بفعل الخضر إلى وقوع مثله لموسى (عليه السلام)

فالله (سبحانه وتعالى) قد نبه موسى (عليه السلام) بما فعل الخضر، على أن ما وقع له هو مِنْ مِثْلِهِ سواء بسواء عَجَباً، فنبهه أولا بخرق السفينة الذي ظاهره هلاك وباطنه نجاة من يد الغاصب- على التابوت الذي أطبق على موسى وألقي في اليم خوفاً عليه من فرعون الغاصب، فكان ظاهره هلاكاً وباطنه نجاة، وكأنه لما أنكر أمر خرق السفينة، نودي: أين كان تدبيرك هذا وأنت في التابوت مطروحا في اليم؟!

كما نبه – سبحانه- ثانيا بقتل الغلام الذي ظاهره أنه معصوم الدم- على قتله القبطي؛ انتصارا للمظلوم في الظاهر، وكأنه لما أنكر أمر قتل الغلام، نُودي: أين إنكارك هذا من وكزك للقبطي وقضائك عليه؟!

ونبه -سبحانه- ثالثاً بإقامة الجدار من غير أجر على سقيه لبنات الشيخ الكبير[1] من غير أجر مع شدة احتياجه لذلك، وكأنه لما أنكر إقامة الجدار بدون مقابل، نودي: أين هذا من رفعك حجر البئر لبنات الشيخ الكبير دون أجرة؟![2]، والله أعلم.

---

(١) اختلف المفسرون في المراد بالشيخ الكبير هنا، فذهب الجمهور- ومنهم الزمخشري والقرطبي وغيرهما – إلى أنه النبي شعيب (عليه السلام)؛ لأنه أُرْسِلَ إلى مدين، وذهب جماعة- ومنهم وهب بن منبه وسعيد بن جبير وغيرهما- إلى أنه ليس بشعيب (عليه السلام)، قال الطبري رحمه الله: وهذا مما لا يدرك علمه إلا بخبر من القرآن والسنة، ولا خبر بذلك تجب حجته، فلا قول في ذلك أولى بالصواب مما قاله الله جل ثناؤه: ﴿**وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ**﴾. جامع البيان للطبري ٥٦٢/١٩. والكشاف للزمخشري ٤٩٠/٤، ٤٩١. والتسهيل لابن جزي ١١٢/٢. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٣٩/١. بتصرف.

(٢) أشار إلى التنبيه الثالث القشيري في لطائف الإشارات ٢٢٩/٢، ٢٣٠. بينما أشار إلى التنبيهات الثلاثة ابن عطية في المحرر الوجيز ٥٣٣/٣. وأبو حيان في البحر المحيط ١٤٤/٦. والبقاعي في نظم الدرر ١١٧/١٢، ١١٨. وغيرُهم.

المطلب الخامس

جانب الهمّ النفسي وزواله عند موسى (عليه السلام)

عرف أبو هلال العسكري الْهَمَّ النفسي بقوله: تعلقُ الخاطر بشيء له قَدْرُهُ في الشدة، والمهماتُ الشدائدُ...، وقد سُمِّيَ الحزن الذي تطول مدته حتى يُذيبَ البدنَ هَمًّا. واشتقاقُه من قولك: انْهَمَّ الشحمُ إذا ذابَ، وهَمَّهُ أذابه[1]. وقال الكفوي: الهم بالفتح: الحزنُ والقلقُ، والهمُّ يُغْلِظُ النفسَ، والحزنُ يقبضها[2]. أي أن الهم يُثْقِلُ النفس الإنسانية ويمنعها عن عمل الجوارح.

ومثاله قوله تعالى على لسان الخضر قبل أن يفارق موسى (عليه السلام): ﴿**سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾[3].

وبعد أن بين له حقيقة الأحداث الثلاثة: خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار– ختم بيانه بقوله: ﴿**ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾[4].

ويلحظ أن "التاء موجودة في الفعل ﴿ **تَسْتَطِع** ﴾ في الأول على الأصل، بينما حذفت هذه التاء؛ تخفيفاً في الثاني" [5]، فما الحكمة؟

أثبت التاء في الفعل الأول، فأثقلت في تركيبه؛ إشارة إلى شعور موسى بالهمّ النفسي الذي أثقل كاهله، فلقد شاهد (عليه السلام) من الخضر ثلاثة أفعال غريبة وغير مقبولة– في الظاهر– تدعو إلى الإنكار والاعتراض، فكيف يخرق الخضر سفينة صالحة؟ وكيف يقتل غلاما صغيرًا؟ ولماذا بَنَى الجدار لقوم بخلاء بدون أجر؟

---

(١) الفروق اللغوية صـــ١٢٧، ٢٦٧ بتصرف يسير.

(٢) الكليات صـــ٩٦٠ فصل الهاء.

(٣) سورة الكهف ١٨ من الآية ٧٨.

(٤) السورة السابقة من الآية ٨٢.

(٥) البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني صـــ١٧١ بتصرف.

ووعده موسى سلفاً أن يصبر ويطيع، ولا يعصيَ له أمرًا، وطلب منه الخضر أن لا يعترض على أيِّ شيءٍ يراه، وأن لا يسأله عنه، فوقع موسى في همٍّ نفسي وشعور ثقيل، بسبب الحيرة في تأويل أفعال الخضر.

وأما حذْفُ التاء في الفعل الثاني، فأزال الثقل في تركيبه؛ إشارة إلى زوال الهمّ الذي سيطر على موسى، والثقل النفسي الذي عاشه، وذلك بعدما علل الخضرُ لموسى حقيقة الأحداث- عرَف موسى أن الخضر كان على حق وصواب في تصرفاته الثلاثة، لقد خرق السفينة لتنجو من مصادرة الملك الظالم، وقتل الغلام ليستريح أبواه من كفره، وبَنَى الجدار ليغطي كنزًا لغلامين يتيمين تحته، فارتاحت نفس موسى وزال ثقلها.

قال ابن كثير: لَمَّا فسر الخضرُ له الإشكال وبينه ووضحه وأزال المشكِل- قال: ﴿**لَمْ تَسْطِع**﴾، وقبل ذلك كان الإشكال قويا ثقيلا فقال: ﴿**لَمْ تَسْتَطِع**﴾، فقابل الأثقل بالأثقل والأخف بالأخف... أي قابل كلا بما يناسبه لفظا ومعنى[1].

أي قابل الخضر الأثقل في النفس بالأثقل في التعبير، والأخف في النفس بالأخف في التعبير، وكما يقول علماء اللغة: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى [2]، والله أعلم.

ويصح أن يكون حذف التاء من الفعل يتضمن إشارة الخَضِر إلى ما كان من عجلة موسى (عليه السلام)، فـ ﴿**لَمْ تَسْطِع**﴾ تتضمن معنى العجلة عن تريث للصبر حتى يتبين ما هناك، وهذا جانب نفسي آخر، عن أبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «**يَرْحَمُ اللهُ مُوسَى، لَوَدِدْنَا لَوْ صَبَرَ حَتَّى يُقَصَّ عَلَيْنَا مِنْ أَمْرِهِمَا**»[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١٨١/٩ بتصرف. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٤/١٦. ولطائف قرآنية لصلاح الخالدي صـــ٥٤.

(٢) الخصائص لابن جني ٢٦٤/٣، وعبارته: قوة اللفظ لقوة المعنى اهـــ. وحاشية الصبان ٤٤٨/٢، وعبارته: زيادة البناء تدل على زيادة المعنى اهـــ.

(٣) جزء حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم/باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم؟ ٣٥/١.

المطلب السادس

جانب ازدحام المشاعر عند موسى (عليه السلام)

وهذا الجانب النفسي بارز في قصة موسى أثناء مسيره من مدين إلى مصر، وفي أمرِه أهلَه بالمكث وإخباره إياهم أنه آنس ناراً، وإطماعِهم أن يأتيهم بنار يصطلون بها أو بخبر يهتدون به إلى الطريق التي ضلوا عنها، يقول الله تعالى: ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى﴾[1].

وفي آية يقول (ﷻ): ﴿لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾[2].

وفي موضع آخر يقول: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ﴾[3].

حيث تحكي الآيات مشهداً واحداً من قصة موسى بعبارات مختلفة ﴿سَـَٔاتِيكُم﴾، ﴿لَّعَلِّي ءَاتِيكُم﴾؛ لجانب نفسي هو اجتماع المشاعر والأحاسيس ازدحامها، ولعل من أبرزها:

١- جانب قوة الرجاء في النفس: والأصل في الرجاء أن يكون لطلب الممكن المحبوب[4]، وإذا قوي الرجاء في النفس جاز الإخبار به، مع تجويز وقوع غير المرجو.

قال الزمخشري: فإن قلتَ: ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾، و ﴿لَّعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ﴾- كالمتدافعَين؛ لأنّ أحدهما ترجّ والآخر تيقن. قلتُ: قد يقول الراجي إذا قوى رجاؤه: "سأفعل كذا، وسيكون كذا"، مع تجويزه الخيبة. فإن قلتَ: كيف

(١) سورة طه ٢٠ من الآية ١٠.

(٢) سورة القصص ٢٨ من الآية ٢٩.

(٣) سورة النمل ٢٧ من الآية ٧.

(٤) شرح شذور الذهب للجَوجَري ٣٨٣/١. والكليات للكفوي صـ٤٦٨. بتصرف.

جاء بسين التسويف؟ قلتُ: عِدَةً لأهله أنه يأتيهم به وإن أبطأ، أو كانت المسافة بعيدة. فإن قلتَ: فلم جاء بأو دون الواو؟ قلتُ: بنى الرجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما: إما هداية الطريق، وإما اقتباس النار؛ ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده، وما أدراه حين قال ذلك أنه ظافر على النار بحاجتيه الكليتين جميعا، وهما العزّان: عز الدنيا، وعز الآخرة(١).

٢- **جانب طمأنينة النفس وتوطينها(٢)**: حيث أراد موسى (عليه السلام) أن يُطَمْئِنَ أهله فقطع بالإتيان، وأراد أن يوطنهم حتى لا يصابوا بخيبة الأمل أو الإحباط، فترجَّى.

قال الزمخشري: ولما كان الإتيان بالقبس ووجود الهدى مترقَبَيْنَ متوقَّعَيْنَ- بنى الأمر فيهما على الرجاء والطمع وقال: "لَعَلِّي"، ولم يقطع فيقول: " إني آتِيكُمْ"؛ لئلا يَعِدَ ما ليس بمستيقَن الوفاء به(٣)؛ احترازاً عن شائبة الكذب، وذلك قبل نبوته.

٣- **جانب التدرج من اليقين إلى الشك(٤)**: قال فضيلة الشيخ الشعراوي- رحمه الله-: لما رأى النار قال: ﴿ **سَـَٔاتِيكُم** ﴾ على وجه اليقين، لكن لما راجع

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤٣٢/٤ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ** ﴾ الآية، من سورة النمل ٢٧. وينظر مدارك التنزيل للنسفي ٥٩٢/٢. والبحر المحيط لأبي حيان ٥٣/٧. وغيرهما.

(٢) قصص القرآن الكريم لفضل عباس صـــ٥٠٥ بتصرف.

(٣) الكشاف للزمخشري ٦٩/٤ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ** ﴾ الآية، من سورة طه ٢٠. وينظر السراج المنير للخطيب الشربيني ٤٥١/٢.

(٤) والرجاء لا يكون إلا مع الشك. الفروق اللغوية لأبي هلال العسكري صـــ٢٤٠ بتصرف.

نفسه فربما طُفِئَتْ قبل أن يصل إليها- استدرك فقال: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾ على سبيل رجاء غير المتيقن(١).

ويتجه أيضا أن يكون موسى (عليه السلام) قد تدرج من الشك إلى اليقين.

٤- **جانب القوة والخوف:** فلا شك أن موسى كان عنده جانب القوة بدليل الفعل: ﴿ سَـَٔاتِيكُمْ﴾ بالقطع؛ ولأنه كان قويَّ الإيمان بالله وإن لم يكن مبعوثاً وقتئذ، وكان عنده أيضا جانب الخوف بدليل الفعل: ﴿ءَانَسَ﴾ علامة على الوحشة؛ ولأنه كان خائفاً من الطريق وهم في ليلة مظلمة باردة، وكان معه امرأته يخشى عليها، والإنسان في ظل تلك المخاوف لا يقطع بما يفعل في المستقبل(٢)، والله تعالى أعلم، ونسبة العلم إليه أسلم.

المطلب السابع

جانب الطمأنينة عند موسى (عليه السلام)

التطمين والطُمأنينة بالضم: اسم من الاطمئنان وهو لغة السكون(٣).

ولقد تكرر التطمين الإلهي لموسى (عليه السلام) أكثر من مرة، قال تعالى: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(٤)، و﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾(٥)، و﴿لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ

---

(١) تفسير الشعراوي ١٠٩١٣/١٨ عند تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ الآية، من سورة القصص ٢٨. وينظر التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٢١٤/١٠.

(٢) روح البيان لحقي ٣٦٩/٥ بتصرف.

(٣) الكليات للكفوي صـــ٥٨٥، فصل الطاء.

(٤) سورة طه ٢٠ من الآية ٦٨.

(٥) السورة السابقة من الآية ٢١.

أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾[١]، و﴿لَّا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾[٢]، و﴿يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[٣]، و﴿يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴾[٤].

وأكتفي بشرح ثلاثة مواقف:

الموقف الأول: وصف اللهُ فيه عصـــا موسى (عليه السلام) مرة بأنها: ﴿ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾[٥]، وفي آية ثانية بأنها: ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾[٦]، وفي آية ثالثة بأنها: ﴿ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾[٧].

والجانُّ: الصغير من الحيات، والثعبانُ: الكبير منها[٨]، قال الزركشي: وذلك؛ لأن خَلْقَها كخَلْق الثعبان العظيم، واهتزازها وحركاتها وخفتها كاهتزاز الجانِّ وخفّته[٩].

وهذا يشير إلى جانب نفسي هو: التطمين الإلهي لموسى (عليه السلام)، بأن هذه العصا ليست عصا عادية، وأنه سبحانه قد أودع فيها مكنونات أسراره.

وكانت معجزة نبوته (عليه السلام) في العصا- من عدة وجوه:

---

(١) السورة السابقة من الآية ٤٩.

(٢) السورة السابقة من الآية ٧٧.

(٣) سورة النمل ٢٧ من الآية ١٠.

(٤) سورة القصص ٢٨ من الآية ٣١.

(٥) سورة طه ٢٠ من الآية ٢٠.

(٦) سورة النمل ٢٧ من الآية ١٠، وسورة القصص ٢٨ من الآية ٣١.

(٧) سورة الأعراف ٧ من الآية ١٠٧، وتمامها: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾.

(٨) لسان العرب لابن منظور ٢٣٦/١ بتصرف، مادة : ثعب. أي أن الحية اسم جنس يطلق على الصغير منها والكبير.

(٩) البرهان في علوم القرآن ٥٥/٢.

أولا: تحوّلُها إلى حية تسعى، قال تعالى: ﴿**فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ**﴾(١). وقال تعالى: ﴿**فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ**﴾(٢). وقال تعالى: ﴿**وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ**﴾(٣).

ثانياً: تلقفها لحيات السحرة، قال تعالى: ﴿**وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ**﴾(٤). وقال تعالى: ﴿**أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ**﴾(٥).

ثالثاً: ضرَب بها (عليه السلام) البحرَ فشق طريقاً له ولقومه، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ**﴾(٦).

رابعاً: استخدَم العصا في ضرب الحجر، قال تعالى: ﴿**فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا**﴾(٧).

<u>الموقف الثاني:</u> مثاله قوله تعالى: ﴿**ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾**﴾(٨).

---

(١) سورة طه ٢٠ الآية ٢٠.

(٢) سورة الشعراء ٢٦ الآية ٣٢.

(٣) سورة القصص ٢٨ من الآية ٣١، وتمامها: ﴿**وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ**﴾.

(٤) سورة طه ٢٠ من الآية ٦٩.

(٥) سورة الأعراف ٧ من الآية ١١٧.

(٦) سورة طه ٢٠ الآية ٧٧ .

(٧) سورة البقرة ٢ من الآية ٦٠.

(٨) سورة طه ٢٠ الآيات ٤٣- ٤٦.

انظر كم مفعولا حذف؟! لم يقل: يتذكرني أو يخشاني، ولا تخافا فرعونَ، وأسمعُ ما يقوله لكما وأَرى ما يفعله بكما.

قال الشهاب الخفاجي: عدم ذكر المفعول إما بتنــزيله- أي الفعل المتعدي- منــزلة اللازم، أو لقصد العموم بتقديره عاماً؛ لعدم قرينة الخصوص(١).

وإنما جيء بهذا اللون من الحذف في: ﴿أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾؛ لجانب نفسي هو: "أن تُمْلَأَ النفوسُ طمأنينةً وثقةً، إذ النفوس سوف تستقر وتطمئن إلى شمولية هذا السماع وهذه الرؤية"(٢).

كما جيء بالحذف أيضاً في: ﴿لَا تَخَافَآ﴾؛ للكشف عن جانب نفسي آخر هو: "الإشارة إلى أنه ينبغي ألا يكون منهما خوف مطلقاً"(٣).

<u>الموقف الثالث:</u> يخاطب (عز وجل) فيه موسى (عليه السلام) لما رأى أفاعيل السحرة، وخُيِّلَ إليه من سحرهم أنها تسعى، وأوجس في نفسه خيفة- فقال تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ﴾(٤).

فقد أكد الضمير المتصل في: ﴿إِنَّكَ﴾ بالمنفصل ﴿أَنتَ﴾؛ "مفيدا الاختصاص"(٥)، أي: أنت لا هم. وجيء بهذا اللون من التأكيد هنا؛ لجانب نفسي هو: تثبيتُ قلب موسى والربطُ عليه، وتشريحُ صدره، وبعثُ الطمأنينة إليه.

يقول يحيى بن حمزة العلوي: هذا التوكيد قد دل على طمأنينة نفس موسى، وعلى الغلبة بالقهر والنصر(٦).

---

(١) عناية القاضي ٢٠٤/٦. وينظر روح المعاني للآلوسي ١٩٦/١٦، ١٩٧.

(٢) التعبير القرآني والدلالة النفسية صـــ ٣١٩ بتصرف.

(٣) المصدر السابق صـــ ٣١٩، ٣٢٠ بتصرف.

(٤) سورة طه ٢٠ الآية ٦٨.

(٥) تمهيد القواعد لناظر الجيش ٥٧٩/١، ٥٨٠ بتصرف.

(٦) الطراز لأسرار البلاغة ١٤٦/٢، ١٤٧. وينظر كتاب من بلاغة القرآن لأحمد البدوي صـــ١١٤.

وهذا الكلام مأخوذ من معنى قول الكشاف: ﴿**إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ**﴾ فيه تقرير لغلبته وقهرِه، وتوكيدٌ بالاستئناف، وبكلمة التشديد، وبتكرير الضمير، وبلام التعريف، وبلفظ العلوِّ وهو الغلبة الظاهرة، وبالتفضيل(١).

وما قاله الزمخشري فيه تقريرُ اختصاصِ موسى بالعلو- أي: إنك أنت الأعلى لا هم- من ستة أوجهَ كما ذكر الشيخ/ محمد أبو موسى قائلاً: الوجه الأول: إنَّ المؤكِّدة لاتصاف المبتدأ بالخبر. الثاني: تكرار الضمير، فلم يقل: إنك الأعلى. الثالث: تعريف الخبر بأل: فلم يقل: أعلى؛ لئلا يكون نكرة صالحة لكل واحد من جنسه. الرابع: مادة العلوِّ الدالة على الغلبة. الخامس: صيغة أفعل المشيرة إلى التفضيل ولا فضل لهم، فلم يقل: العالي. السادس: استئناف الكلام فلم يقل: لأنك أنت الأعلى(٢).

وهكذا استطاعت هذه الجملة: ﴿**إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ**﴾ أن تبُثَّ الأمنَ والسكينةَ والطمأنينة في نفس موسى (عليه السلام).

ويؤكد هذا الجانبَ النفسيَّ- التعبيرُ بما الموصولة في قوله تعالى: ﴿**وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ**﴾(٣)، ولم يقل له: "وألقِ عصاك"؛ تذكيراً له بيوم التكليم إذ قال: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ**﴾(٤)؛ ليحصل له الاطمئنانُ بأنها صائرة إلى الحالة التي صارت إليها يومئذٍ.

---

(١) الكشاف للزمخشري ٤/٩٤.

(٢) نقلا عن ابن الأثير في المثل السائر ٢/١٨٩، ١٩٠. ينظر خصائص التراكيب للدكتور/محمد أبو موسى صـ٣٠٥، ٣٠٦. والبلاغة القرآنية عند الزمخشري صـ٥٥٠. بتصرف.

(٣) سورة طه ٢٠ من الآية ٦٩.

(٤) السور السابقة الآية ١٧.

قال الطيبي: ويحتملُ أن الله تعالى إنما قال لموسى (عليه السلام): ﴿**وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ**﴾؛ ليتيقظ بهذه الصيغة للوقت الذي قيل له: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ**﴾ وأظهر له معجزتها فآنسه بأن خاطبه مما خاطبه به وقت ظهور آيتِها؛ ليُنَبِّه على ما فيها من المعجزة القاهرة، ويُقوِّيَ قلبَه[1].

المطلب الثامن

جانبا المشقة والسهولة عند موسى (عليه السلام)

قال تعالى: ﴿**فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ**﴾[2]، وفي النمل: ﴿**فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾[3] الآية، وفي القصص: ﴿**فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ**﴾[4] الآية.

جاء التعبير القرآني عن مشهد واحد من قصة موسى (عليه السلام) بعبارات مختلفة: ﴿**أَتَىٰهَا**﴾، و﴿**جَآءَهَا**﴾؛ للكشف عن جانبين- مختلفين حسب السياق- من الجوانب النفسية عند موسى (عليه السلام) هما: المشقة والسهولة؛ لأن الفعل "أتى" يوحي بالسهولة واليسر، والفعل "جاء" يؤذن بالصعوبة والمشقة[5]، وخصوصا

---

(١) نقلا عن ابن المنير في الإنصاف ٥٤٥/٢. ينظر فتوح الغيب للطيبي ٢٠٥/١٠. وروح المعاني للآلوسي ٢٢٨/١٦. بتصرف.

(٢) سورة طه ٢٠ الآية ١١.

(٣) سورة النمل ٢٧ من الآية ٨.

(٤) سورة القصص ٢٨ من الآية ٣٠.

(٥) ولذلك استخدم القرآنُ الفعلَ "جاء" غالباً عند الحديث الأمور الصعبة والشاقة كالموت في قوله تعالى: ﴿**وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ**﴾. وكخرق السفينة في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا**﴾. وكقتل الغلام في قوله تعالى: ﴿**لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا**﴾.

أن فيه حرفا من الحروف القوية وهو الجيم، بينما حرف التاء من الحروف الضعيفة(١).

قال الراغب- مفرقا بين المجيء والإتيان-: والمجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم؛ لأن الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتباراً بالحصول(٢).

ولذا جاء التعبير في سورة النمل ﴿جَآءَهَا﴾، وفي سورة طه والقصص ﴿أَتَىٰهَا﴾؛ للأسباب التالية:

١- أن ما قطعه موسى على نفسه في سورة النمل: ﴿ سَـَٔاتِيكُم ﴾(٣)- أشقُّ وأصعب مما في سورة طه والقصص: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم﴾(٤)، فقد قطع على نفسه أن يأتيهم بخبر أو بشهاب قبس، في حين ترجى ذلك في سورة طه والقصص، ولا شك أن القطع أشق وأثقل على النفس من الترجي، والله أعلم.

---

(١) قال صاحب لآلئ البيان:

قَوِيٌّ أَحْرُفِ الهِجَاءِ ضَـــادُ.... بَـــا قَافُ جِيمٌ دَالُ ظَا رَا صَادُ

وَالطَّاءُ أَقْوَى وَالضَّعِيفُ سِينُ.... ذَالٌ وَزَايٌ تَـــا وَعَيْنٌ شِيـــنُ

رياضة اللسان شرح تلخيص لآلئ البيان صـــ٣٠.

(٢) المفردات في غريب القرآن صـــ ١٠٣.

(٣) سورة النمل ٢٧ من الآية ٧، وتمامها: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾.

(٤) سورة طه ٢٠ من الآية ١١، وتمامها: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾. وسورة القصص ٢٨ من الآية ٢٩، وتمامها: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾.

٢- أن المهمة التي ستوكل إليه في سورة النمل أصعب وأشق مما في سورة طه والقصص، فقد أمره الله في سورة القصص أن يبلغ فرعون وملأه، فقال تعالى: ﴿فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ (١)، وفي سورة طه أمره بالذهاب إلى فرعون ولم يذكر معه أحدا آخر، فقال تعالى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾(٢).

أما في سورة النمل فأمره سبحانه أن يبلغ فرعون وقومه، فقال: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾(٣)، وتبليغ القوم أشق من تبليغ الملأ أو فرعون؛ ذلك أن دائرة الملأ- وهم المحيطون بفرعون- ضيقة(٤)، بينما دائرة القوم واسعة؛ لأنهم منتشرون في المدن والقرى، وأن التعامل مع هذه الدائرة الواسعة من الناس صعب شاق، فإنهم مختلفون في الأمزجة والاستجابة والتصرف.

(١) سورة القصص ٢٨ من الآية ٣٢.

(٢) سورة طه ٢٠ الآية ٢٤.

(٣) سورة النمل ٢٧ الآية ١٢.

(٤) الملأ هم: الأشراف من القوم، ووجوهُهُم ورؤساؤُهم ومقدَّمُوهم الذين يُرْجَعُ إلى قولهم، والعِلْيَةُ بالكسر. تاج العروس للزبيدي ٤٣٦/١ بتصرف يسير، مادة: ملأ.

المطلب التاسع
جانب ضيق المقام عند موسى (عليه السلام)

المقام بالفتح: من "قام يقوم"، وهو: موضعُ القيام والمرادُ المكان... وبالضم: من "أقام يقيم"، وهو: موضع الإقامة أي: موضع إقامة ممتدة...، ومعنى المقام مكانٌ فيه القيام لشيء ما، أو ذات ما فيه القيام، ولذاك صح أن يجري عليه الصفات، ولم يصح أن يكون صفة للغير، وكان في عداد الأسماء دون الصفات، والمقام يقال: للمصدر والمكان والزمان والمفعول[1]. والمراد هنا بضيق المقام أي الزمان.

ومثال هذا الجانب النفسي قوله تعالى: ﴿**قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ**﴾[2].

حيث حذف عامل الجر، والتقدير: سنعيدها إلى سيرتها الأولى. قال الزجاج: و﴿**سِيرَتَهَا**﴾ منصوبة على إسقاط الخافض، وأفضى الفعل إليها، المعنى: سنعيدها إلى سيرتِها [3].

وهذا الحذف يكشف عن جانب نفسي هو: "ضيق المقام"[4]، فموسى (عليه السلام) لما كان يُصرِّفُ عصاه في مآربه، ثم قلبت حية- فإذا هو خائف، والمقام يقتضي الوصول مباشرة إلى ما يؤنسه ويطمئنه، بأن تعود عصاه إلى حالتها الأولى.

---

(١) الكليات للكفوي صـــ٨٢٧، فصل الميم.

(٢) سورة طه ٢٠ من الآية ٢١.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٣٥٥.

(٤) التعبير القرآني والدلالة النفسية صـــ٣٢٣.

المطلب العاشر
جانب احتواء الحوار والسيطرة عليه

عندما يكون الحوار سائراً نحو جوانب فرعية لكنها شديدة الحساسية حيث تثير انفعالات مضادة عند السامعين- فإن القرآن يُعَلِّمُ كيف يمكن احتواء الحوار وامتصاص ردود الأفعال؟!

من ذلك قول فرعون في حواره مع موسى: ﴿ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[1].

"فالآية الكريمة تتحدث عن سؤال آخر أراد فرعون إثارته- بعد جواب موسى المفحم عن حقيقة الرب (ﷻ)[2]- وذلك بقصد صرفِ الأنظار أولا عن الجواب الذي لم يستطع رده بشيء، ثم توجيهِ الانتباه ثانيا نحو قضية جانبية تثير الانفعالات العاطفية عند الحاضرين، وتعكر الأجواء ضد الرسول والرسالة، وهي قضية القرون الأولى التي كانت تسير في غير خط الإيمان: من كان ربها؟ وما يكون شأنها وقد هلكت لا تعرف إله موسى هذا؟

إذ من الواضح أن فرعون كان يريد أن يقود موسى إلى الجواب الذي تفرضه معطيات الواقع بأنهم معذبون أو هالكون، إلا أن جواب موسى (عليه السلام) فوّت الفرصة على فرعون بإغلاق باب الحوار، حيث أجابه بأن علم هذه القرون عند الله وحده، فهو يعلم ما عملت ويحفظه في كتاب يواجههم به يوم القيامة.

ثم أعاد موسى (عليه السلام) الحديث عن الرب (ﷻ)، وهذه براعة منه (عليه السلام) يواجه بها فرعون، تتحدى هروبه من الإفاضة في الحديث عن الله؛ خشية أن

---

(١) سورة طه ٢٠ من الآيتين ٥١، ٥٢.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ۝ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾ الآيتان ٤٩، ٥٠ من سورة طه ٢٠.

يؤثر موسى على من حوله ممن يستمعون الحوار بترقب ولهفة، إذ لم يسبق لأحد أن واجه فرعونَ بمثل ما واجهه به موسى من دعوة وحوار"[١].

المطلب الحادي عشر

جانب غريزة الخوف عند موسى (عليه السلام)

عرف اللغويون الخوفَ بأنه: خلاف الطمأنينة، وهو: توقع الضرر المشكوك في وقوعه[٢].

وعرَّفه علماءُ النفس بأنه: شعور يصيب عقل الإنسان المترقب لحدوث أمر سلبي له من خطر معين، وقد يكون هذا الشعور حقيقياً، أو مجردَ خيالٍ ووهمٍ لا وجود له[٣].

ومن خلال تعريف علماء النفس ينقسم الخوف إلى إيجابي وسلبي، أما الإيجابي المحمود فهو الخوف الغريزي، كخوف موسى من الحية، أو من فرعون إلخ. وأما الخوف السلبي المذموم فهو الخوف من أي شيء به يكون الإنسان جباناً، وهو غير مراد هنا.

ومثال الخوف الفطري:

١- ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا ﴾[٤] الآية.

---

(١) الحوار في القرآن لفضل الله صـ٢٧٧ بتصرف.

(٢) الفروق اللغوية للعسكري صـ٢٤٠. والكليات للكفوي صـ٤٢٨، فصل الخاء. وبهذا يختلف أبو هلال العسكري مع الراغب في المفردات صـ١٦١ في تعريف الخوف بأنه يكون من ضرر مظنون أو معلوم اهـ بتصرف، وسيأتي في هذا المطلب.

(٣) مصطلحات في علم النفس للدكتور/بديع القشاعلة صـ٣٨.

(٤) سورة النمل ٢٧ من الآية ١٠، وسورة القصص ٢٨ من الآية ٣١.

حيث يصور غريزة الخوف عند موسى (عليه السلام)، لحظة انقلاب العصا حية، "وسلوك الإنسان النفسي عند الخوف- وجدان الهرب باعتباره انفعالا أوليًا؛ نتيجة لمثير خطر" (١).

٢- وما ورد في قوله تعالى على لسان موسى: ﴿**وَهُمْ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ**﴾(٢). وقال تعالى: ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ**﴾(٣)، إلى غيرها من المواضع القرآنية التي أَسْنَدَت الخوفَ لموسى (عليه السلام)، حيث بلغت أربعة عشر موضعاً(٤).

فلفظ الخوف في الآيتين استُخدم ليعبر عن حالة نفسية كان يمر بها سيدُنا موسى (عليه السلام)، والبُعْد النفسي للفظ الخوف غير الذي في لفظ الخشية، فالخشية تنشأ من عظم المخشيِّ منه، بخلاف الخوف الناشئ عن ضعف الخائف في الغالب، وهذا فيه تفاوت بين بني آدم، ومنه خوف موسى (عليه السلام) الذي يعود إلى الضعف البشرى الغريزي.

قال الراغب: الخوف: توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة إلخ ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية (٥). وقال أيضاً: الخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علمٍ بما يخشى منه، ولذلك خُصَّ العلماء بها في قوله: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ**﴾(٦)،(٧).

---

(١) معجم علم النفس والتحليل النفسي لمجموعة من المؤلفين صـــ١٩٠ بتصرف.

(٢) سورة الشعراء ٢٦ الآية ١٤.

(٣) سورة القصص ٢٨ الآية ٣٣.

(٤) سورة طه ٢٠ الآيات: ٢١، ٤٥، ٤٦، ٦٨، ٧٧. وسورة الشعراء ٢٦ الآيات: ١٢، ١٤، ٢١. وسورة النمل ٢٧ الآية ١٠. وسورة القصص ٢٨ الآيات: ٢١، ٢٥، ٣١، ٣٣، ٣٤.

(٥) المفردات في غريب القرآن صـــ١٦١، مادة: خوف.

(٦) سورة فاطر ٣٥ من الآية ٢٨.

(٧) المفردات في غريب القرآن صـــ١٤٩، مادة: خشي.

ومن هنا تدرك دقة المفردة القرآنية في التعبير عن هذا الجانب النفسي عند موسى (عليه السلام).

٣- وما ورد في قوله تعالى: ﴿فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ﴾[١].

حيث قدم فيه ذكر هارون على موسى عليهما السلام، بخلاف بقية المواضع التي ورد ذكرهما فيها معا.

وذلك أن الترتيب الطبيعي أن يقدم ذكر موسى صاحب الرسالة، على ذكر هارون وزير موسى ومساعده الأول في حملها، ومن ثَمَّ قُرن ذكر موسى بهارون تسع مرات[٢] في القرآن مراعياً ذلك.

ولكن آية سورةِ طه خرجت عن هذا المعهود[٣]؛ وذلك للإشارة إلى جانب نفسي عند موسى (عليه السلام) هو: خوفه لما أُلْقِي السحرةُ حبالهم وعصيهم، وكان

---

(١) سورة طه ٢٠ الآية ٧٠.

(٢) في سورة البقرة ٢ الآية ٢٤٨ وهي: ﴿مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾ الآية. وسورة الأعراف ٧ الآية ١٢٢ وهي: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾. وسورة يونس ١٠ الآية ٧٥ وهي: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ الآية. وسورة الأنبياء ٢١ الآية ٤٨ وهي: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ الآية. وسورة المؤمنون ٢٣ الآية ٤٥ وهي: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ الآية. وسورة الفرقان ٢٥ الآية ٣٥ وهي: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا﴾. وسورة الشعراء ٢٦ الآية ٤٨ وهي: ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾. وسورة الصافات ٣٧ الآية ١١٤ وهي: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾، والآية ١٢٠ وهي: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾.

(٣) أشار إلى أن آية سورة طه التقديم فيها من قبيل تقديم الفاضل على الأفضل- السيوطي في الإتقان ١٧٩٤.

حرياً به أن يكون رابط الجأش ثابت الجنان، وخصوصًا أنه كان قد مر بتجربة الخوف لحظة انقلاب العصا حية، حيث ولى مدبرًا، فطمأنه الله حين نجاه، قال تعالى: ﴿ **أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ۝ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۝ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ**﴾[1] الآية، فلما كان يومَ اللقاء بالسحرة وكان منهم أن أَلقَوا- عاد الإيجاس[2] بالخوف إلى نفس موسى (عليه السلام)، كأنه حديثُ نفسٍ وما كان ينبغي له هذا الخاطر.

ويؤكد هذا الجانبَ النفسي- سياقُ سورةِ طه ذاتها، فقد حدَّثتْ عن خوف موسى ولم تُحَدِّثْ عن خوف هارون، مع أن هارون كان أولى بالخوف من فعل السحرة- لأنه لم يشاهد ما شاهد موسى من معجزة العصا وغيرِها، ولم يشرُف بمناجاة الحق- قال تعالى: ﴿**فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ** ﴾[3] مقدِّمًا الضمير على ما يفسره[4]؛ تنبيهًا على أن هذا الخوفِ ما كان ينبغي، ولا يليق بمقام الأنبياء، فكان في تقديم ذكر أخيه هارون عليه (عليه السلام) إشارةٌ إلى هذا الجانب النفسي[5]، والله أعلم.

ويصح أن تشتمل الآية الكريمة على جوانب نفسية أخرى لتقديم ذكر هارون على موسى، ومنها:

---

(١) سورة طه ٢٠ الآيات ١٨: ٢١.

(٢) قوله تعالى: ﴿**فَأَوْجَسَ**﴾ عبارة عما يعتري نفسَ الإنسانِ إذا وقع ظنُّه في أمر على شيء يسوءه... فهذا الفعل من أفعال النفس يسمى الوجيس. وعبر المفسرون عن "أوجس" بأضمر، وهذه العبارة أعم من الوجيس بكثير. المحرر الوجيز لابن عطية ٥١/٤. وتاج العروس للزبيدي ٥/١٧ بتصرف، مادة: وجس.

(٣) سورة طه ٢٠ الآية ٦٧.

(٤) أشار إلى التقديم والتأخير في هذه الآية- السيوطي في الإتقان ١٧٩٥.

(٥) أشار إلى هذا الجانب النفسي- د/فضل حسن عباس في إعجاز القرآن صـــ٢٠٠، ٢٠١، وقصص القرآن الكريم صـــ١٩٠.

أولها: جانب الدهشة الكاشفة عن هول المفاجأة عند السحرة، لما ظهرت معجزة موسى (عليه السلام)، فأُلقوا سجدًا يتلعثمون بالشهادة، مقدِّمين الفاضل على الأفضل، كحال العبد الذي فرح بلقاء راحلته بعد ضياعها فقال من شدة الفرح: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ**»(١)،(٢).

ثانيها: جانب قوة الاقتناع بالحجة وتمكن الإيمان بها، حيث بدأ السحرة بمن ليس أفضل؛ دلالة على ذلك، فالآية لم تَظْهَرْ على يد هارون، ولم يكن هو الغالب، لكن لما كان يقينهم الغلبة، وجاء الأمر على خلاف ما أيقنوا- انقلب ما كانوا يعتقدونه، فناسب أن يقلبوا القضية في التعبير، فقدموا الفاضل على من هو أكثر منه فضلاً؛ تأكيدًا لإيمانهم بموسى- صاحب المعجزة- وذلك أنهم اهتموا بإبراز إيمانهم بمن هو دونه، من باب التنبيه بالأدنى على الأعلى(٣).

ثالثها: دفع إيهام فرعون بأنه هو المقصودُ برب موسى، قال الفخر الرازي: قدموا ذكر هارون على موسى؛ لأن فرعون كان يدَّعي ربوبيته لموسى؛ بناء على أنه رباه في قوله: ﴿ **أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا** ﴾(٤)، فالقوم لما احترزوا عن إيهامات فرعون- لا جرم قدموا ذكر هارون على موسى؛ قطعاً لهذا الخيال(٥).

---

(١) جزء حديث رواه مسلم في صحيحه، الآداب/في الحض على التوبة والفرح بها، عن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، ٨/٩٣. وتمامه: « **لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً، فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا، قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ: اللهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ**».

(٢) الفاصلة في القرآن للحسناوي صـ ١٢٠ بتصرف.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ١٢/٣٠٩. والتعبير القرآني والدلالة النفسية صـ ١٩٤، ١٩٥. بتصرف.

(٤) سورة الشعراء ٢٦ من الآية ١٨.

(٥) مفاتيح الغيب ٢٢/٨٧. وينظر غرائب التفسير للكرماني ٢/٧٢٣. واللباب لابن عادل ١٣/٣١٨. وغيرهما.

رابعها: جانب الميل إلى الفطرة البشرية: فعندما قدم السحرة ذِكْر هارون على موسى؛ فلأنه الأكبر منه سنا على ما تقتضيه الفطرة، قال أبو حيان: وقيل: قدم هارون هنا؛ لأنه كان أكبر سناً من موسى(١)، والله أعلم.

المطلب الثاني عشر
جانب الأدب مع الله (عز وجل)

حقيقة الأدب: استعمال الْخُلُق الجميل. ولهذا كان الأدبُ استخراجَ ما في الطبيعة- من الكمال- من القوة إلى الفعل. والأدبُ ثلاثة أنواع: أدبٌ مع الله (عز وجل)، وأدبٌ مع رسول الله (ﷺ) وشرعِه، وأدبٌ مع خلقه(٢). والنوعان الأخيران غير مرادين هنا.

ومثال الأدب مع الله، قوله تعالى على لسان موسى مخاطبا ربه: ﴿**قَالَ هُمْ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ**﴾(٣).

فالأصل في الهاء الداخلة على أسماء الإشارة- "وضعها للتنبيه، أي تنبيه المخاطب على حضور المشار إليه، أو تنبيه السامع أنك ستتكلم ليعطيك سمعه"(٤)، ويهتم بما تقول، فلا يفوته شيء من كلامك.

وقد حُذِفَتْ هاءُ التنبيه من أول اسم الإشارة ﴿**أُوْلَآءِ**﴾، فموسى (عليه السلام) في خطابه مع ربه لم يقل: "هؤلاء"، وهذا يشير إلى عدة جوانب نفسية، من أبرزها:

---

(١) البحر المحيط ٢٤٢/٦. وينظر روح المعاني للآلوسي ٢٦/٩.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم ١٠٩/٢، ١١٣.

(٣) سورة طه ٢٠ الآية ٨٤.

(٤) روائع التفسير لابن رجب ٦٨٣/١. وشرح الرضي على الكافية ٤٧٧/٢. بتصرف.

أولا: "التأدب مع الله في الخطاب؛ لأن التنبيه إنما يكون للغافل أو النائم، وربُّ العالمين (ﷻ) ليس بغافل فينبَّه"(١).

ثانيا: أنه لم يأت بالتنبيه؛ لأن النقباء من قوم موسى غيابٌ وغيرُ مشاهَدين، قال أبو السعود: ﴿**وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ**﴾(٢)؟ أي: أيُّ شيءٍ أعجلك منفرداً عن قومك؟ وهذا كما ترى سؤالٌ عن سبب تقدمه على النقباء، مَسوقٌ لإنكار انفرادِه عنهم؛ لما في ذلك بحسب الظاهر من مخايل إغفالهم وعدمِ الاعتداد بهم، مع كونه مأموراً باستصحابهم وإحضارِهم معه، لا لإنكار نفس العجلة الصادرةِ عنه (عليه السلام)؛ لكونها نقيصةً منافية للحزم اللائق بأولي العزم، ولذلك أجاب (عليه السلام) بنفي الانفرادِ المنافي للاستصحاب والمعية حيث قال: ﴿**هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي**﴾ يعني: إنهم معي، وإنما سبقتهم بخُطىً يسيرة ظننتُ أنها لا تُخِل بالمعية، ولا تقدح في الاستصحاب، فإن ذلك مما لا يعتد به فيما بين الرفقةِ أصلاً(٣).

المطلب الثالث عشر

جانب الراحة النفسية عند موسى (عليه السلام)(٤)

الراحة: نقيضُ التعب. تقول: أَرَاحَهُ إِرَاحَةً وَرَاحَةً، فالأول مصدر والثاني اسم، والراحةُ لا تكون إلا بعد تعب وشغل، كالماشي إذا أطال المشي ثم قعد وقد تقدمت شهوته للقعود- سُمِّيتْ لذتُه بالقعود راحة(٥).

---

(١) مباحث التفسير لابن المظفر الرازي صـ٧٣. وتفسير الشعراوي ١٠٩٨٥/١٨. بتصرف.

(٢) سورة طه ٢٠ الآية ٨٣.

(٣) إرشاد العقل السليم ٦٥٥/٣ بتصرف.

(٤) وهذا الجانب سيأتي أيضا – إن شاء الله- عند الحديث عن مؤمني السحرة.

(٥) الفروق اللغوية للعسكري صـ ١٢٢. ولسان العرب لابن منظور ٣٨/٢، ٤٦١، مادة: سبت، وروح. بتصرف.

ومثال ذلك الجانب النفسي عند موسى (عليه السلام) قصتُه في مشهد الاتفاق على الزواج، حيث تحكي الآياتُ الكريمة قصةَ الشيخ الكبير في مَدْيَنَ، حين عرض على موسى (عليه السلام) الزواج: ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ٢٨ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾[1] الآية.

فقد قص القرآنُ الكريم هنا الأحداث[2]، وطوى عشرَ سنين من عُمْر موسى (عليه السلام) قضاها في مَدْيَنَ- بعد الاتفاق على الزواج وقبل سيره بأهله-؛ إشارة إلى الراحة النفسية التي تمتع بها موسى (عليه السلام) خلال تلك المدة الطويلة، ورِضا موسى (عليه السلام) بالمقام عند شعيب، وكانت نتيجةُ هذا المقامِ الزواجَ.

ومما يرجحُ هذا الجانب النفسي أمران:

١- مجيء الفاء هنا في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ﴾ الآية، التي تدل على سرعة انقضاء الأجل أو المدة.

٢- زيادةُ موسى الأجل المشروط- سنتَيْن[3]؛ تعبيراً عن راحته النفسية تلك، فموسى (عليه السلام) يقضي هذه المدة الطويلة في العمل والرعي آمناً؛ مؤثراً ذلك

---

(١) سورة القصص ٢٨ الآيات: ٢٧-٢٩.

(٢) قص الأحداث: بمعنى الانتقال بين الأحداث على الرغم من طولها وتباعد الفترة. القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه لعبد الكريم الخطيب ٤٠، ٤٤، ٤٧ بتصرف.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الشهادات/باب من أمر بإنجاز الوعد، عن سعيد بن جبير، ١٨١/٣. ولفظه: سألني يهودي من أهل الحِيْرة: أيُّ الأجلين قضى موسى؟ قلتُ: لا أدري حتى أَقْدُمَ على حَبْر العرب فأسألَه، فقدِمتُ فسألتُ ابنَ عباس فقال: «قضى=

على رغد العيش في بلاط آل فرعون[١] خائفاً، وهو جانب نفسي آخر.

المطلب الرابع عشر
جانب التريث والتمهل عند موسى (عليه السلام)

تدور مادة التمهل حول معنى الرفق والتؤدة والتمكث وعدم العجلة، قال الفيومي: أمهلتُه إمهالا أنظرتُه وأخَّرتُ طلبَه، ومهَّلْتُه تمهيلاً مِثْلُه... وتمهَّلْ في أمرك تمهُّلا، أي: اتَّئِد في أمرِك ولا تعجَلْ. والمهلة مثل غُرْفَة، وهي الرفق، وتمهَّلَ في الأمر تمكَّثَ ولم يعجلْ[٢].

ومثال هذا الجانب النفسي عند موسى (عليه السلام) قولُه تعالى: ﴿**فَلَمَّآ أَنۡ أَرَادَ أَن يَبۡطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوّٞ لَّهُمَا**﴾[٣].

حيث فصل بين "لَمَّا" والفعل "أراد" بـــ"أَنْ" الزائدةِ المفيدةِ للتراخي[٤]، ولم يقل سبحانه: فلما أراد أن يبطش إلخ.

وجيء بهذا الفاصل؛ للإشعار عن جانب نفسي هو: التأني والتريث، ذلك أن موسى (عليه السلام) لم يكن متسرعاً ولا مندفعاً هذه المرة للبطش بالقبطي كمسارعته

=أكثرهما وأطيبهما، إن رسول الله (ﷺ) إذا قال فعل » اهـــ. قال ابن حجر في الفتح ٢٩١/٥: والمراد بالأطيب أي في نفس شعيب وهو العَشْر، والمراد برسول الله (ﷺ) من اتصف بذلك، ولم يرد شخصا بعينه اهـــ بتصرف.

(١) البلاط بالفتح: نوع من الحجارة تُفْرَشُ به الأرض ويُسَوَّى به الحائط، ثم سُمِّي المكان بلاطاً اتساعا. لسان العرب ٢٦٤/٧ بتصرف، مادة: بلط. والمراد بالبَلاط هنا قصر الحاكم وحاشيته.

(٢) المصباح المنير صـــ٥٨٣، مادة: مهل.

(٣) سورة القصص ٢٨ من الآية ١٩.

(٤) شرح الكافية الشافية لابن مالك صـــ ١٥٢٩. والبرهان للزركشي ١٣٤/١. بتصرف.

المرة الأولى التي وقعت له فجأة، فـ "أن" المخففة هنا تصور حالة التريث والتمهل التي عاشها موسى (عليه السلام) في هذه اللحظات، وكأنها تشير إلى الفاصل الزمني وأن الفعل ﴿**يَبْطِشَ**﴾ لم يكن على الفور.

قال ابن الأثير: قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ**﴾ بتكرير "أَنْ" مرتين- دليلٌ على أن موسى (عليه السلام) لم تكن مسارعته إلى قتل الثاني كما كانت مسارعته إلى قتل الأول، بل كان منه إبطاء في بسط يده إليه، فعبر القرآن عن ذلك[1] في قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ**﴾[2].

ونظير تلك الآية قولُه تعالى: ﴿**فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ**﴾[3].

ويدل على تمهل موسى (عليه السلام) وعدمِ اندفاعه في المرة الثانية- قولُه لصاحبه على سبيل العتاب والتأنيب: ﴿**إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ**﴾[4]، حتى ظن صاحبه أنه ينوي البطش به بدلاً من عدوه فقال له: ﴿ **أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ**﴾[5]،[6]؟

---

(١) أي فعبر عن ذلك الإبطاء بزيادة "أنْ" المخففة، بينما عبر- في المرة الأولى- في قوله تعالى: ﴿**فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ**﴾، فجاء بالفاء الدالة على التعقيب وعدم المهلة بين الاستغاثة والوكز أو الدفع "فاستغاثه، فوكزه، فقضى عليه".

(٢) المثل السائر لابن الأثير ١٣/٣.

(٣) سورة يوسف ١٢ من الآية ٩٦.

(٤) سورة القصص ٢٨ من الآية ١٨.

(٥) السورة السابقة من الآية ١٩.

(٦) واختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿**قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ**﴾؟ أهو من كلام الإسرائيلي أو القبطي؟ فقال الجمهور- ومنهم ابن عباس=

المطلب الخامس عشر
جانب الأنس عند موسى (عليه السلام)

عرف أبو هلال العسكري هذا الجانب النفسي بقوله: الأُنسُ خلافُ الوَحْشة، والناس يقولون: إنسيٌّ ووحشيٌّ[1]. وقال الكفوي: الاستئناس: هو عبارة عن الأُنس الحاصل من جهة المجالسة، وهو خلاف الاستيحاش[2].

وقد وردت مادة الأنس في ثلاث آيات[3]، خلال قصة موسى (عليه السلام)، في سياق واحد، لما عاد من مَدْيَنَ إلى مصر، وضلَّ الطريق ليلاً في الصحراء، فرأى نارًا على جبل الطور من بعيد، فلما رآها: ﴿**قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾[4].

=والنسفي والسمين الحلبي وابن كثير- : لما خاطب موسى الإسرائيليَّ بأنه غويٌّ ورآه على غضب- ظن لما هم بالبطش أنه يريده فقال هذا القول. وقال الحسنُ والفخر الرازي وابن عادل وغيرهم: الظاهر أنه قول القبطي، وكان قد عرف أن موسى هو القاتل. مفاتيح الغيب للرازي ٢٣٧/٢٤. ومدارك التأويل للنسفي ٦٣٤/٢. والدر المصون للسمين ٦٦٠/٨. وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٤٨/١٠. واللباب لابن عادل ٢٣٣/١٥. وروح المعاني للآلوسي ٥٧/٢٠. بتصرف.

(١) الفروق اللغوية صـ٢٧٤.

(٢) الكليات صـ١١٥، فصل الألف والسين.

(٣) في سورة طه ٢٠ الآية ١٠، وهي: ﴿**إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى**﴾. وسورة النمل ٢٧ الآية ٧، وهي: ﴿**إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾. وسورة القصص ٢٨ الآية ٢٩، وهي: ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ**﴾.

(٤) سورة القصص ٢٨ من الآية ٢٩.

والفعل "آنَسَ" من متلفظ موسى (عليه السلام) في الحوار، جاء مشحونًا بدلالات نفسية داخلية عميقة، فموسى (عليه السلام) لم ير نارًا فقط، بل كانت مؤنِسةً له في ليل بهيم موحِش، وعلى المرء أن يتخيل مدى الابتهاجِ بمرأى النار من قِبَل إنسانٍ تائهٍ في القَفْر لا يكاد يتبين وجهةً، ثم تلوح له نار فجأةً.

قال ابن منظور: الأَنيسةُ: النار، كالمأنوسة، ويقال لها: السَّكَن؛ لأن الإنسانَ إذا آنَسَها ليلاً أَنِسَ بها وسَكَنَ إليها، وزالَت عنه الوحشةُ وإن كان بالأرض القَفْر[1].

وقال الزبيدي: سُمِّيَ الإنسيُّون؛ لأَنَّهم يُؤْنَسُونَ، أَي يُرَوْنَ، وسُمِّيَ الجِنُّ جِنّاً؛ لأَنَّهم مجنونون عن رؤية النّاس، أي مُتَوارُونَ[2].

فيؤخذ من القولين أن "آنس" تدل على أكثرَ من إدراك بالبصر، فهو إدراك مع شعور نفسي بالأنس خاصةً، ولذا عبر في الآية بالفعل ﴿**ءَانَسْتُ**﴾ دون "رأيتُ"؛ للإشارة إلى هذا الجانب نفسي في حق موسى (عليه السلام).

قال صاحب اللطائف القرآنية: والكلمة- أي الفعل- فيها معنى الأنس النفسي الشعوري، إذ ارتاحت نفسُ موسى لَمَّا رأى النارَ من بعيد، وتوقع أن يجد عندها الدليل... ثم إن الاستئناس حركة نفسية شعورية ذاتية[3].

كما يتجلى هذا الجانب النفسي أيضا عند موسى (عليه السلام) في موضعين آخرين:

١- قوله تعالى: ﴿**وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ** ۝١٧﴾ [4]؟

والأصل في الاستفهام أن يكون "لطلب الفهم والعلم"[5]، والله (سبحانه وتعالى) مُنَزَّهٌ عن هذا المعنى؛ لأنه عالم بكل شيء.

---

(١) لسان العرب ١٦/٦ نقلا عن ابن الأعرابي، مادة: أنس.

(٢) تاج العروس ٤٠٩/١٥ نقلا عن محمد بن عرَفَة الواسطي، مادة: أنس.

(٣) لطائف قرآنية للدكتور/صلاح عبد الفتاح الخالدي صـــ٩٧، ٩٩.

(٤) سورة طه ٢٠ الآية ١٧.

(٥) مفاتيح الغيب للرازي ٢٥/٢٢. واللباب في علم البناء والإعراب للعكبَري ١٢٩/٢. والبرهان للزركشي ٣٢٦/٢، ٣٢٧. بتصرف.

ولذلك خرج الاستفهام في الآية عن أصله؛ لجانب نفسي هو: "الإيناس لموسى (عليه السلام)" على ما ذهب إليه الزركشي والسيوطي وغيرهما[١]، حيث يريد الرب (سبحانه وتعالى) أن يؤانِسَ موسى (عليه السلام)، فيطرحَ عليه أسئلة يَجُرّهُ بها إلى المحادثَة، مع أنّ المتكلم- سبحانه- عالم بجواب أسئلته، فالعصا الموجودة في يد موسى يراها سبحانه، ويعلم حقيقة أمرها، ولهذا يقال: يَسْتَفْهِم وهو أعلم.

وفي قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ**﴾[٢]- كان من الممكن أن يقول الله (عز وجل) له: ﴿**أَلْقِهَا**﴾ دون أن يناديَهُ: ﴿**يَـٰمُوسَىٰ**﴾، وإنما كرر النداء بسطاً في المقام؛ "لزيادة إيناس موسى (عليه السلام)، وزوال الوحشة عن قلبه"[٣].

٢- قوله تعالى على لسان موسى (عليه السلام): ﴿**قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ**﴾[٤].

وكان الإيجاز يقتضي أن يقول موسى (عليه السلام) في جواب سؤال ربّه: "عصاي أو عصا، بدون ذكر الضمير؛ لفهمه من السؤال، ولكن ذكر المسند إليه- وهو الأصل- فقال: ﴿**هِيَ عَصَايَ**﴾، بل زاد فشرح أوصافها دون أن يُسْأَل عنها، فقال: ﴿**أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ**﴾[٥].

---

(١) البرهان للزركشي ٣٤٣/٢. والإتقان للسيوطي ١٧٠٨/٥. وينظر مباحث التفسير لابن المظفر الرازي صـ٣١٦.

(٢) سورة طه ٢٠ الآية ١٩.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ٢٨/٢٢. وأنوار التنزيل للبيضاوي ٢٥/٤. والبلاغة العربية لحبنَّكة ٣٢٠/١. بتصرف.

(٤) سورة طه ٢٠ الآية ١٨.

(٥) مفتاح العلوم للسكاكي صـ١٧٨. وخصائص التراكيب د/محمد أبو موسى صـ١٩١. بتصرف. وينظر المنهاج الواضح لعوني ٢٢٠/٢.

وإنما جيء بهذا كله على سبيل الإطالة والبسط في الكلام؛ لجانب نفسي هو: "طلب الأنس، حيث يرغب موسى (عليه السلام) في الاستئناس والتشرّف والتلذّذ بطول المحادثة مع الله (سبحانه وتعالى) "[1]، وإلا فموسى يعلم علم اليقين أن الله تعالى عالم بكل ما قال.

المطلب السادس عشر
جانبا العزيمة والقوة عند موسى (عليه السلام)

القُوَّة تدور حول معنى العزيمة، والطاقة، والقوة البدنية. قال الفيومي: يقال: قَوِيَ يَقْوَى فهو قَوِيٌّ، والجمع أقوياء، والاسم القوة، والجمع القُوَى، مثل: غُرْفَةٍ وغُرَفٍ، وقَوِيَ على الأمر وليس له به قوة، أي: طاقة[2]. وقال الكفوي: القوة تكون في البدن، وتكون في القلب[3].

وقد كان هذا واضحا في جانب موسى (عليه السلام)، وظهر في مواقف عديدة، منها:

في سورة القصص حيث قوله تعالى: ﴿أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾[4]، وفي النمل

(١) روح المعاني للآلوسي ١٧٤/١٦. والبلاغة العربية لحبنَّكة ٣٢٠/١. بتصرف.

(٢) المصباح المنير ٥٢١/٢ بتصرف، مادة: قوي.

(٣) الكليات صـــ٧١٨ بتصرف، فصل القاف.

(٤) سورة القصص ٢٨ من الآية ٢٩، تمامها: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

حيث قوله: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ (١)، وفي طه حيث قوله: ﴿بِقَبَسٍ﴾(٢).

قال الفيروزابادي: الجذوة من النَّار خَشَبَةٌ في رأسها قَبَسٌ به شِهابٌ، فهي في السُّوَر الثلاث عبارةٌ عن معنى واحد(٣).

فذكر (ﷻ) في سورة النمل أن موسى (عليه السلام) يأتي أهله بشهاب قبس، والشهاب هو: شعلة من النار ساطعة(٤).

والقَبَسُ: شعلةُ نارٍ تُقْتَبَسُ من معظم النار، يقال: قَبَسَ يَقْبِسُ منه ناراً، أي: أخذ منه ناراً، وقَبَسَ العلمَ استفاده(٥).

أي شعلة نار كبيرة ساطعة ومأخوذة.

والْجَذْوَة: الجمرة أو القَبْسة من النار(٦)، وقال الراغب: هي ما يبقى من الحطب بعد الالتهاب(٧)، وفي معناه قول أبي حيان: هي عود فيه نار بلا لهب(٨).

---

(١) سورة النمل ٢٧ من الآية ٧، وتمامها: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾. قال أبو زهرة: وقبس بدل أو عطف بيان من شهاب. زهرة التفاسير ٥٤٣٤/١٠.

(٢) سورة طه ٢٠ من الآية ١٠، وتمامها: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى﴾.

(٣) بصائر ذوي التمييز ٣١٣/١.

(٤) لسان العرب لابن منظور ٥٠٩/١ بتصرف، مادة: شهب.

(٥) القاموس المحيط للفيروز ابادي صـــ٥٦٤ بتصرف، باب السين فصل القاف.

(٦) المرجع السابق صـــ١٢٦٩ بتصرف، باب الواو فصل الجيم.

(٧) المفردات في غريب القرآن صـــ٩٠ بتصرف يسير، مادة: جذو.

(٨) البحر المحيط ٩٨/٧.

أما في سورة القصص فقد ذكر (سبحانه وتعالى) أنه (عليه السلام) ربما أو لعله أتى بجمرة من النار، ولم يقل: إنه سيقبسها منها.

ومما سبق يظهر أن المجيء بالشهاب أنفعُ من المجيء بالجمرة؛ لأن الشهاب يدفئ أكثر منها؛ لما فيه من اللهب الساطع، كما أنه ينفع في الاستنارة والاستضاءة بخلاف الجمرة.

وهذا كله يشير إلى جانب نفسي هو: العزيمة والقوة عند موسى (عليه السلام)؛ لأن معناه القطع بأنه سيذهب إلى النار، ويَقْبِسُ منها شعلةَ نارٍ كبيرة ساطعة، متحملا ما قد يلاقيه منها من مخاطر.

المبحث الثاني

الجوانب النفسية في شخصية أم موسى (عليه السلام)

ويشتمل على ستة مطالب:

- المطلب الأول: جانب قرار العين عند أم موسى (عليه السلام).
- المطلب الثاني: جانب رباطة القلب عند أم موسى (عليه السلام)
- المطلب الثالث: جانب عجز المرأة عن كتمان مشاعرها.
- المطلب الرابع: جانب سعادة المرأة في نسبتها للرجل.
- المطلب الخامس: جانب أثر الحالة النفسية للأم على الرضيع.
- المطلب السادس: جانب غريزة الأمومة عند أم موسى (عليه السلام).

المطلب الأول

جانب قرار العين عند أم موسى (عليه السلام)[1]

ومثاله قوله تعالى: ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[2] الآية.

وقال تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِۦ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[3] الآية.

"قَرَّ" أصله من القُرِّ وهو البَرْدُ، وهو يقتضي السكون[4]، فإذا أُسْنِدَ هذا اللفظ إلى العين[5]- أضاف جانباً نفسياً عند أم موسى (عليه السلام)، ينبئ عن الاطمئنان والاستقرار والهدوء، وهو نوع من الفرح والسرور، إذ أصل قرة العين هو دمعها إذا كان بارداً.

قال الراغب: العين لها نوعان من الدمع: دمعٌ بارد، ويكون حالة السرور، ودمعٌ حار، ويكون حالة الحزن [6].

وهذا القول يكشف عن الجانب النفسي الذي يفيده اللفظ القرآني، قال الماتريدي: ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾ أي: تُسَرَّ برده إليها، وذلك معروف في النساء ظاهر أنهن يحزَنَّ بمفارقة أولادهن ويهتَمَّنَّ لذلك، ويُسْرَرْنَ إذا رجعوا إليهن واجتمعوا معهن[7].

---

(١) وهذا الجانب سيأتي أيضا- إن شاء الله- عند الحديث عن امرأة فرعون.

(٢) سورة طه ٢٠ من الآية ٤٠.

(٣) سورة القصص ٢٨ الآية ١٣.

(٤) المفردات في غريب القرآن صـ٣٩٧، ٣٩٨ بتصرف، مادة: قر.

(٥) على سبيل المجاز المرسل وعلاقته الجزئية، حيث أطلق لفظ العين وأراد النفس والجسم، أي تطمئن وتهدأ نفسها.

(٦) المفردات في غريب القرآن صـ٣٩٨ بتصرف، مادة: قر.

(٧) تأويلات أهل السنة ٥٨٧/٣.

المطلب الثاني

جانب رباطة القلب عند أم موسى (عليه السلام)

ومثاله قوله تعالى عن أم موسى (عليه السلام): ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

وأصل الربط الشدُّ بالحبل ونحوه[2]، فإذا أضيف إلى القلب أفاد التثبيتَ والتقوية، قال الراغب: فلانٌ رابط الجأش: إذا قوي قلبه[3]، وبهذه الإضافة تجد أن اللفظ أضاف للكلمة جانبا نفسياً عند أم موسى (عليه السلام) هو: ثباتها ورباطة جأشها[4]، الناشئان من طمأنينة النفس وسكينتها، وهذا لطف من الله إذ ربط على قلبها بالصبر، كما يُربَطُ الشيء المتفلت ليستقر ويطمئن: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[5]، كما يدل على وجود الرابطة بين قلب أم موسى الطاهر وبين الرب جل وعلا.

ويؤكد هذا الجانبَ النفسيَ أمران:

أولهما: استعمالُ القلب مرة والفؤادِ مرة أخرى مع أم موسى، فعندما كانت قلقة متوترة- جاء لفظ الفؤاد، ثم لَمَّا ربط الله على قلبها وصبَّرها وأزال فزعها وقلقها- جاء بلفظ القلب[6].

---

(١) سورة القصص ٢٨ من الآية ١٠.

(٢) لسان العرب لابن منظور ٣٠٢/٧ بتصرف، مادة: ربط.

(٣) المفردات في غريب القرآن صـــ١٨٦ بتصرف، مادة: ربط.

(٤) التحرير والتنوير لابن عاشور ٨٠/٢٠.

(٥) سورة الرعد ١٣ من الآية ٢٨.

(٦) والفؤاد: القلب، وقيل: وسطه، وقيل: الفؤاد غشاء القلب، والقلب حَبَّتُه، ومنه الحديث: «أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا». صحيح البخاري، المغازي/قدوم الأشعرين أهل واليمن، من حديث أبي هريرة، ١٧٣/٥. والنهاية لابن الأثير ٤٠٥/٣. ولسان العرب لابن منظور ٣٢٩/٣ مادة: فأد. بتصرف. فالفؤاد قد يكون للغشاء، أي أن الفؤاد هو بوابة القلب.

ثانيهما: استعمالُ حرف الجر "على" الذي يفيد الاستعلاء[1]، وقد ألقى ظلّه على دلالة اللفظ وكأن المعنى: أن القلب امتلأ من ذلك الربط حتى كأنه علا عليه وارتفَع فوقه وتمكن منه.

المطلب الثالث
جانب عجز المرأة عن كتمان مشاعرها

مادة العَجْزِ تأتي بمعنى الضعف وعدم القدرة، قال الفيومي: عَجزَ عن الشيء عَجْزًا، من باب ضرَب وتعِب: ضَعُفَ عنه. ولا يقال: عجز الإنسانُ بالكسر إلا إذا عظمت عَجِيزَتُهُ. وأَعْجَزْتُ زيدًا وجدته عَاجِزًا، وعَجَّزْتُهُ تَعْجِيزًا جعلتُه عَاجِزًا، وعَاجَزَ الرجلُ إذا هرب فلم يُقْدَرْ عليه[2].

وقد كان هذا الجانب النفسي واضحا في شخصية أم موسى (عليه السلام)، ومثاله قوله تعالى: ﴿**إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا**﴾[3] الآية.

حيث يفيد أن أم موسى (عليه السلام) كادت تتحدث عن ابنها وخبر ولادته وإلقائه في اليم، وتظهر مشاعرها، فتحدِّثُ الناسَ؛ لضيق صدرها، لولا أن الله (عز وجل) ربط على قلبها.

أي: لولا أن ربطنا على قلبها بأن ثبتناه وقويناه، لأظهرتْ للناس أمر موسى (عليه السلام)[4].

وهذا يشير إلى جانب نفسي عند المرأة هو: "أنها- في الغالب- عاجزة عن كتمان سرها، وأنها سريعة البوح به، ولا تقوى على كتمان مشاعرها، فغالباً ما

(١) ينظر البديع في علم العربية لابن الأثير ٢٤٨/١.
(٢) المصباح المنير ٣٩٣/٢ بتصرف، مادة: عجز.
(٣) سورة القصص ٢٨ من الآية ١٠.
(٤) روح المعاني للآلوسي ٤٩/٢٠ بتصرف.

تَظْهَرُ مشاعرُ المرأة من اللحظة الأولى، سواء أكانت هذه المشاعر في جانب السرور أم الحزن أم الدهشة أم غير ذلك"(١)، والله أعلم.

وقد قص القرآن موقف امرأة العزيز، حيث سرعان ما اعترفت بمشاعرها أمام النسوة: ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾(٢).

وكذلك موقف حفصة زوج النبي (ﷺ)، حيث سرعان ما أفشت ما أوصاها (ﷺ) بكتمانه: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾(٣)، (٤).

وقد أشار علماء النفس إلى " أن هذا الجانب النفسي من المرأة– في حقيقة الأمر– ليس ناشئاً عن ضعفها، وإنما هو ناشئٌ عن خوفها من الوِحْدة، فالسر حمل ثقيل عليها، يجعلها تشعر كأنها وحيدة مع سرها"(٥).

---

(١) التعبير القرآني والدلالة النفسية لعبد الله الجيوسي صـ ٥٥٠ بتصرف.

(٢) سورة يوسف ١٢ الآية ٣٢.

(٣) سورة التحريم ٦٦ الآية ٣.

(٤) ﴿أَسَر﴾: حدثها بكلام وقال لا تفشيه. ﴿بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾: حفصة رضي الله عنها. ﴿حَدِيثًا﴾: هو تحريم مارية رضي الله عنها. ﴿نَبَّأَتْ بِهِ﴾: أخبرت عائشة رضي الله عنها. ﴿وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾: أطلعه على إخبارها. ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ﴾ أخبر حفصة ببعض ما قالته لعائشة رضي الله عنهما. ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾: ولم يخبرها بكل ما قالت تكرما منه. عمدة القاري للبدر العيني ٢٥٢/١٩ بتصرف.

(٥) التعبير القرآني والدلالة النفسية لعبد الله الجيوسي صـ ٥٥١ بتصرف.

المطلب الرابع
جانب سعادة المرأة في نسبتها للرجل

السَّعْدُ والسَّعَادةُ: ضدُّ الشقاوة، وهي: معاونةُ الأمورِ الإلهية للإنسان على نيل الخير. والمساعدةُ: المعاونةُ فيما يظن به سعادةً. وأعظمُ السعاداتِ الجنةُ؛ فلذلك قال تعالى: ﴿**وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ**﴾[1]، وقال: ﴿**فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ**﴾[2]، [3].

ومادة النِّسْبَةِ تأتي بمعنى الإضافة والصلة والقرابة، قال الراغب: والنَّسَبُ والنِّسْبَةُ اشتراكٌ من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان: نَسَبٌ بالطُّولِ كالاشتراك من الآباء والأبناء، ونَسَبٌ بالعَرْض كالنسبة بين بنى الإِخْوَة وبنى الأعمام، قال: ﴿ **فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا**﴾ [4]،[5].

أي النسبة تكون بين الأبوين، أو بين الأبناء، أو بين بني الإِخْوة، أو بين بني الأعمام.

والمرأة سعادتُها في إحدى هذه النِّسَبِ إلى الرجل، ومثال هذا الجانب النفسي في شخصية أم موسى (عليه السلام) قولُه تعالى: ﴿**وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا**﴾[6] الآية.

ففيه ذكر المرأة منسوبة لابنها- على عادة العرب- إذا كانت أُمًّا؛ إشارةً إلى جانب نفسي هو: أن المرأة مشدودة إلى الرجل ومَسُودَةٌ به، وأنها لا تجد نفسها

---

(١) سورة هود ١١ من الآية ١٠٨.

(٢) السورة السابقة من الآية ١٠٥.

(٣) المفردات للراغب صـ٢٣٢ بتصرف، مادة: سعد.

(٤) سورة الفرقان ٢٥ من الآية ٥٤.

(٥) المفردات صـ٤٩٠. وينظر المصباح المنير للفيومي ٦٠٢/٢. مادة: نسب.

(٦) سورة القصص ٢٨ من الآية ١٠.

أو تشعر بكيانها إلا إذا انتسبت إليه، وكأن السعادة التي تنشدها المرأة لا تجدها إلا إذا شعُرت أنها إلى جانب رجل يحميها ويقوم على شؤونها ويرعاها، سواء أكان الرجل أباً ومنه قولُه تعالى: ﴿**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾[1]، [2]، حيث أضيفت حواء إلى ضمير آدم (عليه السلام)، أَمْ كان الرجل زَوْجاً ومنه قولُه تعالى: ﴿**ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ**﴾[3]، و﴿**ٱمْرَأَتُ عِمْرَانَ** ﴾[4]، أم كان أَخاً ومنه قولُه تعالى: ﴿**يَٰٓأُخْتَ**

(١) سورة النساء ٤ من الآية ١.

(٢) عند من يرى أن حواء مخلوقةٌ من ضلع آدم (عليه السلام)، ففي مسألة خلق حواء من آدم قولان: الأول: وهو الذي عليه الجمهور كالرازي وابن كثير وأبي حيان وغيرهم: أن "مِنْ" في قوله: ﴿**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ تبعيضية، أي: خلق حواء من نفس آدم. واحتجوا عليه بقول النبي (ﷺ): «**وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ**». القول الثاني: وهو اختيار أبى مسلم الأصفهاني وغيره: أن المراد من قوله: ﴿**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا** ﴾ أي من جنسها، وهو كقوله تعالى: ﴿**وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا** ﴾. والقول الأول أصح؛ إذ لو كانت حواء مخلوقة ابتداء لكان الناس مخلوقين من نفسَين لا من نفس واحدة. صحيح البخاري النكاح/الوَصاة بالنساء، عن أبي هريرة، ٢٦/٧. ومفاتيح الغيب للرازي ١٦٧/٩. والبحر المحيط لأبي حيان ١٦٣/٣. وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٣٤/٣. بتصرف.

(٣) سورة يوسف ١٢ من الآية ٣٠، وتمامها: ﴿ **وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ** ﴾.

(٤) سورة آل عمران ٣ من الآية ٣٥، وتمامها: ﴿ **إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ**﴾.

هَـٰرُونَ ﴾[1]،[2]، أم كان ابناً، فالرجل هو الذي يوفر للمرأة الحماية، وهذا من حكمة الله تعالى في خلقه.

فإذا علمتَ ما تقدم، أدركتَ إلى أيِّ حدٍّ كرَّم القرآنُ الكريم المرأةَ، وامتدحها وأثنى عليها، وجعل لها أحكاماً خاصة بها دون مشقة ولا عسر.

قال صاحب الصحة النفسية للمرأة: والمرأة السوية تعرف بداهة أنها متعلقة برقبة الرجل طوال مسيرة حياتها، فقد عاشت طفولتها وصباها متعلقة برقبة أبيها أو أخيها، وعاشت شبابها ونضجها متعلقة برقبة زوجها، وعاشت بقية حياتها متعلقة برقبة ابنها، وهكذا المرأة مهما تظاهرت بالقوة تشعر بمحورية دور الرجل، وأنه يعلوها وأنها تابعة له متعلقة برقبته، سواء أحَبَّتْه أم كرهَتْهُ[3].

---

(١) سورة مريم ١٩ من الآية ٢٨.

(٢) عند من يرى أن مريم كانت أختا لهارون غير النبي. فقد اختلف المفسرون في معنى الأخوة ومَنْ هارون في قوله تعالى: ﴿**يَـٰٓأُخْتَ هَـٰرُونَ** ﴾؟ على أقوال ملخصها قولان: الأول: واختاره الطبري وابن كثير والثعالبي وغيرهم: أنها أخته في الفضل والصلاح؛ تهكما بها، وعلى هذا القولِ فالأختُ هاهنا بمعنى الشبَه، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ** ﴾ أي: أشباه الشياطين. القول الثاني: واختاره الرازي وأبو حيان والنيسابوري وغيرهم: أنها أخته حقيقة حيث كان لها أخ صالح يسمى بهارون غير أخي موسى (عليه السلام)؛ لأن بين هارون وعيسى عليهما السلام مدة طويلة، وهذا هو الأظهر والأقرب؛ لأن الأصل في الكلام الحقيقة، فيحمل على أخيها المسمَّى بهارون. جامع البيان للطبري ١٨٨/١٨. ومفاتيح الغيب للرازي ٢٠٩/٢١. والبحر المحيط لأبي حيان ١٧٦/٦. وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢٣٩/٩. وغرائب القرآن للنيسابوري ٤٨٢/٤. والجواهر الحسان للثعالبي ١٧/٤. بتصرف.

(٣) الصحة النفسية للمرأة لمحمد عبد الفتاح المهدي صـ٣٠، ٣١ بتصرف.

المطلب الخامس
جانب أثر الحالة النفسية للأم على الرضيع

الأثرُ يأتي بمعنى النتيجة والعلامة، قال الراغب: أَثَرُ الشيءِ حصولُ ما يَدُلُّ على وجوده، يقال أَثَرَ وأَثَّرَ، والجمع الآثار، قال تعالى: ﴿**فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ**﴾(١)،(٢).

والحالُ: ما يَخْتَصُّ به الانسانُ وغيرُه من أمورِه المتغيرة في نفسه وجسمه وقُنْيَتِه(٣)، والحالُ يذكر ويؤنث، وقد يُؤَنَّثُ بالتاء(٤).

والمراد هنا أن الحالة النفسية للأم تؤثر إيجابا أو سلبا على الجنين أو الرضيع، "فالرضيع مثلا يشعر برغبة الأم فيه، وبالتالي ينشأ مرتبطا بها عاطفيًا، كما يشعر بعدم رغبتها، فينشأ مضطربا نفسيا بأن يكون عنيداً أو عدوانياً"(٥).

ومثال ذلك الجانب النفسي في شخصية أم موسى – قولُه تعالى: ﴿**وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ.... فَرَدَدۡنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ....**﴾(٦) الآية.

---

(١) سورة الروم ٣٠ من الآية ٥٤.

(٢) المفردات صـــ٩ بتصرف، مادة: أثر. وينظر التعريفات للجرجاني صـــ٧.

(٣) أي ما يقنتيه من متاع وغيره.

(٤) المفردات للراغب صـــ١٣٧. والمصباح المنير للفيومي ١٥٧/١. بتصرف، مادة: حول.

(٥) الصحة النفسية للمرأة لمحمدي عبد الفتاح المهدي صـــ٤٢ بتصرف.

(٦) سورة القصص ٢٨ من الآية ١٢، ١٣.

حيث يفيد امتناع موسى رضيعاً عن أن يلتقم ثديَ أيِّ امرأة أخرى غير ثدي أمه، وعبر عن هذا بالتحريم الكوني[1]؛ تأكيدا لهذا الامتناع، كما يمتنع المؤمن عن تناول ما حرم الله[2].

ولعل من مقدمات ذلك ما سبق من تدبير الله (ﷻ) أن ألهم أمه أن ترضعه من ثديها مدة، كما قال سبحانه: ﴿**وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ**﴾[3].

وبهذا التدبير تعوَّدَ الرضيعُ ثديَ أمه، وتعوَّدَ اللبنَ الذي رضعه من ثديها، فلما عرض عليه ثديُ غيرِ الذي رضع منه- كرهه وردّه، وأبى أن يَطْعَمَ من لبنه.

قال الشيخ زكريا الأنصاري: ما فائدةُ وحي الله تعالى إلى أم موسى بإرضاعه، مع أنها ترضعه طبعاً وإن لم تؤمر بذلك؟ والجوابُ: أمرها بإرضاعه؛ ليألف لبنَها، فلا يقبل ثدي غيرها بعد وقوعه في يد فرعون، فلو لم يأمرها به ربما أرضعتْه مرضعة أخرى، فيفوت المقصود[4]،

---

(١) هناك فرق بين التحريم الكوني والشرعي، فالأول هو: ما يتعلق بالمشيئة سواء أكان محبوبا لله أم مكروها له، وهو واقع لا محالة، كقوله تعالى: ﴿**وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ**﴾. والثاني التحريم أو المنع الشرعي هو: ما يتعلق بالمحبة والرضا لله سواء أوقع المراد أم لم يقع كقوله تعالى: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ**﴾. المفردات للراغب صـ١٥، ١١٤. وشفاء العليل لابن القيم صـ٢٨٢. بتصرف.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٤٦/١٠. والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٣١٩/١٠. بتصرف.

(٣) سورة القصص ٢٨ من الآية ٧.

(٤) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن لزكريا الأنصاري صـ٤٢٧ بتصرف. وينظر أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل لزين الدين الرازي صـ٣٨٧. وفتح البيان للقِنَّوجي ٩٠/١٠. وحدائق الروح والريحان لمحمد الأمين ١٠٢/٢١.

والله أعلم[1].

فالآيتان الكريمتان تشيران إلى جانب نفسي هو: أن الحالة النفسية للأم تؤثر على عملية الإرضاع، فينتج عنها تغير في الحالة النفسية للطفل؛ "لأن الطفل في فترة الرضاع لا يقتصر ارتباطه بالأم على الجانب الخارجي، وإنما يربطه بها جوانب نفسية أخرى يكتسبها خلال مدة الرضاع، فالرضاع عبارة عن: استجابة تكاملية هدفها ضمان النمو الجسدي والنفسي والاجتماعي للطفل"[2].

المطلب السادس

جانب غريزة الأمومة عند أم موسى (عليه السلام)

غريزة الأمومة هي: دافع فطري للأم نحو وليدها، متمثلٌ في حبِّه ورعايتِه وتقديم كل عون له، والدفاعِ عنه، والمحافظةِ عليه، ومدِّه بكل أساليب الحماية التي تستطيعها[3].

---

(١) اختلف المفسرون في مسألة تأبِّي موسى على المراضع هل هو طبيعي أم شاذ؟ على قولين: الأول: ما ذهب إليه أكثر المفسرين كالماتريدي وابن عطية وابن عادل وغيرهم إلى أن قوله تعالى: ﴿وَحَرَّمْنَا﴾ يقتضي أن الله تعالى خصه من الامتناع من ثدي النساء بما يشُذُّ به عن عرف الأطفال وهو تحريم تبغيض بأن غيّر طبعه ونحوه. والقول الثاني: أن تأبِّي موسى رضيعاً على المراضع كان أمراً طبيعياً جارياً على المألوف، فكثير من الأطفال لا يتحولون عن الثدي الذي رضعوا منه الرضعات الأولى، وقد ذهب إلى هذا بعضُ المتأخرين كالشيخ عبدِ الكريم الخطيب. تأويلات أهل السنة للماتريدي ٥٨٧/٣. والمحرر الوجيز لابن عطية ٥٧٦/٦، ط قطر. واللباب لابن عادل ٢٢٢/١٥. والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٣١٨/١٠، ٣١٩. بتصرف.

(٢) حقوق الطفل من المنظور النفسي والاجتماعي لناهد عبد الوهاب صـــ١٥١- ١٥٦ بتصرف.

(٣) معجم علم النفس والتحليل النفسي لمجموعة من المؤلفين صـــ٣٣٩ بتصرف.

وقد كان هذا الجانب النفسي في شخصية أم موسى (عليه السلام) واضحا في مواقف عدة، منها قوله تعالى: ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[1] الآية.

وفيه حديث عن جانب من جوانب العاطفة، وأي عاطفة؟ إنها غريزة الأمومة والحنان والإشفاق، قد سيطرت على أم موسى (عليه السلام)، إذ لا شفقةَ أعظمُ من شفقة الأم، إلا رأفةَ ربك على عباده، ورأفةَ الرسول على أمته.

فلما جيء بالوليد سلّمته أمُّه الثديَ مع العطف والشوق، وإذا بالحليب يُدِرُّ عليه كأنه نافورة، وإذا بالطفل يشم رائحة أمه فيلتقم ثديها، ولو توسع فمه الصغير لارتضعه جميعاً، فسُرّت أم موسى (عليه السلام).

والآية الكريمة تومئ إلى أنها كانت قبل رده محلاً لشيء من البكاء الذي به تسخن العين، "وهو عكس قرة العين"[2]، وكانت كذلك حزينة على فراقه.

وإنما كان المطلوب الأول، والمقصود الذي تلح عليه الأم- هو رد ابنها إليها في الحال، بدليل اقتصاره عليه في آية طه: ﴿فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ﴾[3].

قال الطيبي: ولأن كلَّ أحد يعلم ضرورةً أن فرحَ الثكلى وذهابَ حزنها إنما يكون بوجدان مفقودها[4].

(١) سورة القصص ٢٨ من الآية ١٣.
(٢) نظم الدرر للبقاعي ٢٥١/١٤ بتصرف.
(٣) سورة طه ٢٠ من الآية ٤٠.
(٤) فتوح الغيب ٢٢/١٢.

المبحث الثالث

الجوانب النفسية في شخصية امرأة فرعون

ويشتمل على سبعة مطالب:

- المطلب الأول: جانب قرار العين عند امرأة فرعون.
- المطلب الثاني: جانب تغليب العاطفة على العقل عند المرأة.
- المطلب الثالث: جانب الميل الفطري عند المرأة نحو الأولاد الذكور.
- المطلب الرابع: جانب استعداد المرأة لاستمالة ذوي الشأن.
- المطلب الخامس: جانب حرص المرأة على تبرير مواقفها.
- المطلب السادس: جانب التفاني عند المرأة من أجل فكرتها.
- المطلب السابع: جانب حماسة المرأة لعاطفتها الدينية.

المطلب الأول

جانب قرار العين[1] عند امرأة فرعون

ومثاله قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾[2].

والظاهر أن امرأة فرعون هي التي أحبت موسى في الأول، ولذلك قالت: ﴿قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ﴾ ثم قذف الله محبته في قلب فرعون وإلا لما أبقاه في بيته، كما قال تعالى: ﴿وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي﴾[3].

ويؤكد هذا الجانبَ النفسي عند زوجة فرعون- رسمُ ﴿قُرَّتُ﴾ بالتاء المفتوحة؛ للدلالة على أن موسى (عليه السلام) قُرَّتُ عين لها حاضرةٌ متحققةٌ، بخلاف ﴿قُرَّةُ أَعۡيُنٖ﴾ بالتاء المقبوضة، فتدل على منتظَر غير متحقق وقت الدعاء، وزمنُ تحققه علمُه عند الله (عز وجل)، فبُسطتْ تاء ﴿قُرَّتُ﴾؛ مطابقةً مع الواقع الذي حصل بتبدل حال امرأت فرعون، وكانت عقيماً[4] وصار لها ولد، ومُنَى كل امرأة أن يكون لها ولد، فخالف الرسمُ في هذه الحال الرسمَ في الفرقان والسجدة[5].

---

(١) سبق شرح وتوضيح معنى قرار العين عند الحديث عن هذا الجانب في شخصية أم موسى (عليه السلام).

(٢) سورة القصص ٢٨ الآية ٩.

(٣) سورة طه ٢٠ من الآية ٣٩.

(٤) أشار إلى أن آسية زوجة فرعون كانت عقيما لا تلد- ابنُ عساكر في تاريخ دمشق ٢٣/٦١.

(٥) سورة الفرقان ٢٥ الآية ٧٤، وهي: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامٗا﴾. وسورة السجدة ٣٢ الآية ١٧، وهي: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾.

قال الزركشي: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾ فَرْدٌ مدت تاؤه؛ لأنه بمعنى الفعل إذ هو خبر عن موسى، وهو موجود حاضر في الملك[١]، وهذا بخلاف: ﴿قُرَّةٍ﴾، فإنه هنا بمعنى الاسم، وهو ملكوتي[٢] إذ هو غير حاضر[٣].

المطلب الثاني
جانب تغليب العاطفة على العقل عند المرأة

العاطفة تأتي بمعنى الميل والحنان والشفقة، يقال: "عطفتُ الشيءَ عطفاً ثَنَيْتُه فانعطف، ويُستعار للميل والحنان إذا عُدِّي بعلى، يقال: عطَفَتِ الناقةُ على ولدِها عطفاً من باب ضرَب: حنَّت عليه ودَرَّ لبنُها"[٤].

وعرفها علماءُ النفس بأنها: صفة نفسية لها أثر كبير في تكوين الشخصية، مجموعة انفعالات سواء كانت سارة فتكوّن عاطفة محبة، أو غير سارة فتكوّن عاطفة كراهية[٥].

أما العقل فهو: قوة أو غريزة يتهيأ بها الإنسان إلى فهم الخطاب أو المعلومات[٦].

ومن خلال التعريفات للعقل والعاطفة يتضح الفرق بأن العقلَ متهيء للتدبر والفهم وهو نشاط عقلي، أما العاطفة فهي نشاط وجداني أو انفعالي.

---

(١) أي مُشاهَد بالأعين في الدنيا.

(٢) أي غيبي سواء أكان في الدنيا أم الآخرة.

(٣) البرهان في علوم القرآن ٤١٤/١.

(٤) المفردات للراغب صـ٣٣٨. والمصباح المنير للفيومي ٤١٦/٢. بتصرف، مادة: عطف.

(٥) معجم المصطلحات النفسية والتربوية لمحمد مصطفى صـ١٨٨ بتصرف.

(٦) المفردات للراغب صـ٣٤١. والمصباح المنير للفيومي ٤٢٣/٢. بتصرف، مادة: عقل.

ومثال ذلك الجانب النفسي في شخصية امرأة فرعون- قولُه تعالى: ﴿**قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا**﴾[1].

وفيه أن امرأة فرعون قد صرخت في جنده عندما أرادوا قتل موسى (عليه السلام)، وغلَّبت التبرير العاطفي- غريزة الأمومة وكانت غير ولود [2]- في الحكم على الأشياء، فكان هو الطريق إلى استمالة قلب فرعون حتى يبقيَه قرت عين لها وله.

"ولفظ ﴿**قُرَّتُ**﴾ مأخوذ من القرار بمعنى الاستقرار؛ وذلك أن العين إذا رأت ما تحبه استقر نظرها عليه، وانشغلت به عن غيره" [3]، كناية عن السرور.

قال الآلوسي: ولتفخيم شأن القُرَّة عدلتْ عن: "لنا" إلى: "لي ولك"، وكأنها لِمَا تعلمُ من مزيد حب فرعون إياها وأن مصلحتها أهم عنده من مصلحة نفسه- قدمت نفسها عليه، فكان ذلك أبلغ في ترغيبه بترك قتله، فلا يقال: الأظهر في الترغيب بذلك العكس[4].

ولعل في قولها: ﴿**عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا**﴾ ما يشعر بمحاولتها التأثير عليه نفسياً بأسلوب الترجي، وفي قولها: ﴿**أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا**﴾ ما يجعل صورةَ موسى مصورة أمام عين فرعون، الذي يبدو أنه لم يكن له ولد.

قال ابن عاشور: جَعْلُ الوازع العاطفي عن القتل وهو وازع المحبة[5]- هو المقدمة؛ لأنه أشد تعلقا بالنفس. وجَعْلُ الوازع العقلي بعد النهي علة؛ لاحتياجه

---

(١) سورة القصص ٢٨ من الآية ٩.

(٢) التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٣١٤/١٠ بتصرف.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٨٦/٥، مادة: قرر. والبحر المحيط لأبي حيان ٤٧٣/٦. بتصرف.

(٤) روح المعاني ٤٨/٢٠ بتصرف يسير. وينظر التحرير والتنوير لابن عاشور ٧٩/٢٠.

(٥) قال تعالى: ﴿**قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ**﴾.

إلى الفكر، بأن هذا الطفل لا يكون هو المخُوفَ منه على ملكه؛ لأنه لَمَّا ينضم في أهلهم ويكن ربيَّهم فإنه يرجى منه نفعُهم ويكون لهم كالولد، فأقنعت فرعون بقياسٍ على الأحوال المجرَّبة في علاقة التربية والمعاشَرة والتبني والإحسان، وأن الخير لا يأتي بالشر(١).

فالآية الكريمة بجملتها تشير إلى جانب نفسي هو: "قدرة المرأة على تغليف الأشياء بالعواطف، التي تجعل منها أداة لاستمالة الرجال إلى رأيها" (٢)، وبهذا يظهر ما للمرأة من تأثير في حياة الرجل، حتى ولو كان جباراً، فيجيب امرأته إلى ما طلبت، ويترك لها المولود، تشبع به جوع أمومتها!

المطلب الثالث
جانب الميل الفطري عند المرأة نحو الأولاد الذكور

الميل: العدولُ عن الوسط إلى أحد الجانبين، وهو مصدر يُستَعمل في ما يُرى، وفي ما لا يُرى، مثل: ميلِك إلى فلان، ومَالَ الحائطُ ميلا(٣). والمراد هنا ما لا يُرى وهو الميل النفساني.

أما الفِطري فنسبة إلى الفطرة وتأتي بمعنى: الخلقة التي جُبِلَ عليها الإنسان(٤).

وكان هذا الجانب النفسي واضحا في شخصية امرأة فرعون، ومثاله قوله تعالى: ﴿**عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا**﴾(٥) الآية.

---

(١) التحرير والتنوير ٧٩/٢٠ بتصرف.

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ٨٦٣/٢. وقصص القرآن الكريم د/فضل حسن عباس صـــ٦٢٣. والصحة النفسية للمرأة لمحمد المهدي صـــ٣٠. بتصرف.

(٣) المفردات للراغب صـــ٤٧٨، مادة: ميل. والفروق اللغوية للعسكري صـــ٢١٣. بتصرف.

(٤) التعاريف للمناوي صـــ٢٦٢.

(٥) سورة القصص ٢٨ من الآية ٩.

وفيه رغبة امرأة فرعون- وكانت غير ولود- في تبني موسى (عليه السلام)، وقد كان التبني أمرًا معتادًا عند الأمم إلى أن نسخ في شريعتنا[1]، فتتحرك فيها غريزة الأمومة، وتصرخ في أعماقها عواطف الأم نحو هذا الطفل، وإذا هو لعينه الطفل الذي ولدته لساعتها[2].

قال الراغب: الولدُ المولودُ، ويقال: للابن والابنة[3].

فالولد وإن كان يشمل الذكر والأنثى، لكن في الآية يراد به الذكر؛ لقرينة السباق: ﴿**لَا تَقْتُلُوهُ**﴾، ففرعون كان يقتل الذكور دون الإناث.

فالآية الكريمة تشير إلى جانب نفسي عند المرأة هو: ميلها الفطري نحو الأولاد الذكور، وهو ما يفهم من قوله تعالى: ﴿**وَلَدًا**﴾؛ بدليل قوله تعالى: ﴿**وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ**﴾[4] ونحوِه، فـ "المرأة التي تضع ذكراً تشعر بالاعتداد والرِّضَا عن نفسها"[5].

وفي الآيةِ الكريمة أيضاً جانبٌ نفسي آخر هو: الميل الفطري عند المرأة العاقر نحو غريزة الأمومة عموما؛ لتُرضي أنوثتَها، ويَشْبَعَ جوعُ أمومتها؛ " لأن المرأة التي لا تلد تعاني كثيرًا من الاضطرابات النفسية بسبب حرمانها من

---

(١) بقوله تعالى: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ**﴾، سورة الأحزاب ٣٣، من الآية ٤٠.

(٢) غرائب التفسير للكرماني ٨٦٣/٢. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٠/٩. والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٣١٥/١٠. بتصرف.

(٣) المفردات في غريب القرآن صـ٥٣٢ بتصرف.

(٤) سورة آل عمران ٣ من الآية ٣٦..

(٥) الأمومة لفايز قنطار صـ١٣٩ بتصرف يسير.

الأمومة البيولوجية[١]، لذلك تحاول جاهدة أن تعوض جانب النقص النفسي لديها وأن تجد لها مخرجاً، ولعل المخرج يكمن في تبني طفل تمنحه حب الأمومة"[٢].

المطلب الرابع
جانب استعداد المرأة لاستمالة ذوي الشأن

من الاستعدادات التي تملكها المرأة كونها قادرة على استمالة ذوي الشأن والسلطة ومن ثَمَّ على الإيمان بفكرتها، بمعنى أنها عنصر لا يستهان به من حيث التأثير على رأي الحاكم.

ومثاله قوله تعالى: ﴿**وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا**﴾[٣].

وهو يفيد كيف أثَّرتْ امرأةُ فرعون في استمالة زوجها نحو قبول الرضيع موسى (عليه السلام)، واستثنائه من الذبح[٤]؟ وقد استجاب لها.

فالآية الكريمة تشير إلى جانب نفسي هو: قدرة المرأة على استمالة أصحاب النفوذ والتأثيرِ على رأيهم، فهي على استعداد دائم أن تسعى إلى تحريك إرادة الرجل نحو الفعل، بمعنى أنها تملك الإرادة المحرِّكة في حينِ يملكُ الرجل الإرادة الفاعلة [٥].

---

(١) هناك فرق بين الأمومة البيولوجية والنفسية، فالأُولى هي: الأم التي حملت وولدت فقط ثم تركت ابنها لأي سبب من الأسباب. والثانية: الأمومة النفسية: وهي الأم التي لم تحمل ولم تلد، ولكنها تبنت الطفل بعد فراقه من أمه البيولوجية فَرَعَتْه وأحاطته بالحب والحنان حتى كَبِرَ. الصحة النفسية للمرأة لمحمد عبد الفتاح المهدي صـــ٣٦، ٣٧.

(٢) الصحة النفسية للمرأة لمحمد عبد الفتاح المهدي صـــ٣٩ بتصرف.

(٣) سورة القصص ٢٨ من الآية ٩.

(٤) غرائب التفسير للكرماني ٨٦٣/٢ بتصرف.

(٥) الصحة النفسية للمرأة لمحمد عبد الفتاح المهدي صـــ٣١ بتصرف.

المطلب الخامس

جانب حرص المرأة على تبرير مواقفها[١]

التبرير هو: دفاع نفسي يقوم فيه الشخص بتفسير السلوك بأسباب منطقية معقولة أو أعذار مقبولة[٢].

ويطلق علماءُ النفس على هذا الجانب- عند المرأة- التفكيرَ الحدسي المباشر، وأنه يقابل- عند الرجل- التفكيرَ الاستدلالي البطيء، مشيرين إلى أن أحدهما مكمل للآخر[٣].

ومثال ذلك قولُه تعالى: ﴿**لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا**﴾[٤] حيث بينت امرأة فرعون سبب النهي عن قتل الرضيع، وهو رجاء النفع منه أو التبني له.

قال ابن عاشور: وأما جملة: ﴿**عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ**﴾ فهي في موقع العلة لمضمون جملة: ﴿**لَا تَقْتُلُوهُ**﴾... ويتضمن قولُها: ﴿**عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا**﴾ إزالةَ ما خامر نفسَ فرعون من خشية فساد ملكه على يد فتى إسرائيلي، بأن هذا الطفل لا يكون هو المخوَّفَ منه؛ لأنه لَمَّا انضم في أهلهم وسيكون ربيَّهم فإنه يرجى منه نفعُهم، وأن يكون لهم كالولد. فأقنعتْ فرعونَ بقياسٍ على الأحوال المجرَّبة في علاقة التربية والمعاشرة والتبني والإحسان، وإن الخير لا يأتي بالشر[٥].

---

(١) وهذا الجانب سيأتي أيضا- إن شاء الله- عند الحديث عن ابنتي الشيخ الكبير.

(٢) مصطلحات في علم النفس للدكتور/بديع القشاعلة صـ٧٦ بتصرف.

(٣) سيكولوجية الأمومة والطفولة لعصام نور صـ٨١. والتعبير القرآني والدلالة النفسية ٥٥٣. بتصرف.

(٤) سورة القصص ٢٨ من الآية ٩.

(٥) التحرير والتنوير ٧٩/٢٠.

المطلب السادس
جانب التفاني عند المرأة من أجل فكرتها

مادة التفاني أو الفناء تأتي بمعنى الاضمحلال والموت والعَدَم، يقال: "الفناء نقيض البقاء، ومنه فناء العالم، وتفانى القومُ قتلا: أفنى بعضُهم بعضا، وفَنِيَ يَفْنَى فناء: هرِم وأشرف على الموت هَرَما"(١).

وقد كان الجانب في واضحا في شخصية امرأة فرعون، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢).

حيث يفيد أن امرأة فرعون ضربت المثل لأهل الإيمان، فعلى الرغم من كون الظروف كلِّها مهيأةً لتبقى متقلبةً في رغد من العيش ونعيم القصور، وعلى الرغم من كون زوجها فرعونَ ضرب مثلاً أعلى للطغيان- لكنها آمنت بالله، وآثرتْ ما عند الله على ما عند هذا الفرعون(٣)، رحمها الله رحمة واسعة.

فعن أبي هريرة (ﷺ): «**أَنَّ فِرْعَوْنَ أَوْتَدَ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ فِي يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا، فَكَانَ إِذَا تَفَرَّقُوا عَنْهَا ظَلَّلَتْهَا الْمَلَائِكَةُ، فَقَالَتْ: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾، فَكَشَفَ لَهَا عَنْ بَيْتِهَا فِي الْجَنَّةِ**»(٤).

---

(١) لسان العرب لابن منظور ١٦٤/١٥، بتصرف، مادة: فني.

(٢) سورة التحريم ٦٦ الآية ١١.

(٣) جامع البيان للطبري ٤٩٩/٢٣. وتفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ١٠/٥. بتصرف.

(٤) رواه بإسناده موقوفاً أبو يعلى في مسنده ٣١٦/١١. والبيهقي في شعب الإيمان ٢٤٤/٢ بلفظ مختلف من قول أبي رافع، وسقط منه ذكر أبي هريرة. وذكره الهيثمي في مجمع=

ولذا أثنى عليها رسولُ الله (ﷺ)، فعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله (ﷺ): « **أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**»(١).

فالآية الكريمة تشير إلى جانب نفسي عند المرأة هو: "أن من طبيعتها إذا آمنت بفكرة تفانت في سبيلها، وضحت بالغالي والنفيس من أجلها، وبذلت الوسائل كلها في سبيل تحقيقها، فإن كانت صالحة كانت هذه الخصلة محمودة فيها، وإن كانت غير ذلك كانت صفة مذمومة فيها"(٢).

المطلب السابع
جانب حماسة المرأة لعاطفتها الدينية

العاطفة لفظها مشترك موضوع لمعان كثيرة، وخير أساس لتحديد معناها أن يقال هي: استعداد نفسي ينزع بصاحبه إلى الشعور بانفعالات وجدانية خاصة، والقيام بسلوك معين حيال شيء، أو شخص أو جماعة أو فكرة معينة. ففيها إذن انفعال، وتصور، وفعل، كالعواطف الدينية أو الخُلُقية أو الاجتماعية، فهي لا تخلو من تصور واضح أو غامض مصحوب بفعل محدد أو غير محدد(٣).

=الزوائد ٣٥٠/٩، وقال: رجاله رجال الصحيح. ونسب نحوَه إلى أبي يعلى والبيهقيِّ- السيوطيُّ في الدر المنثور ٥٩٧/١٤، وقال: سنده صحيح اهـ بتصرف يسير.

(١) رواه أحمد في مسنده ٧٧/٥. وأبو يعلى في مسنده ١٥٩/٣. والطبراني في المعجم الكبير ٣٣٦/١١. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٢٣/٩: رجالهم رجال الصحيح.

(٢) الصحة النفسية للمرأة لمحمد عبد الفتاح المهدي صـ١٩. والمرأة وقضاياها، دراسات مقارنة بين النزعة النسوية والرؤية الإسلامية لمجموعة من المؤلفين صـ٢٤٥. بتصرف.

(٣) المعجم الفلسفي لجميل صَليبا ٤٤/٢ بتصرف.

أما العاطفة الدينية فهي النزعة الوجدانية أو الفطرة الدينية التي يكون عليها كل بني آدم أول خلقهم، وهذه الفطرة تقود الإنسان إلى معرفة الحق والباطل والتمييز بينهما، وتقود الإنسان إلى الإيمان بالله تعالى، وتوحيده، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾(١). وفي الحديث الشريف: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**» الحديث(٢)،(٣).

ويبرز جانب حماسة المرأة لعاطفتها الدينية في قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٤).

حيث يرشد إلى أن المرأة تميل إلى الفطرة الدينية كالرجل، وتميل إلى قبول الحق مثله، وأنها مهما بعدت عن طريق الصواب إلا أن الرجوع إلى ساحة الإيمان لديها قريب كذلك، وهذا ملموس من نهاية قصة امرأة فرعون(٥)؛ إذ المرأة متحمسة لعاطفتها الدينية.

---

(١) سورة الروم ٣٠ من الآية ٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، الجنائز/ما قيل في أولاد المشركين، عن أبي هريرة (ﷺ)، ١٠٠/٢.

(٣) دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ١١١/٤. والدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، ـــايف: د/محمد عبد الله دراز صـــ٩٥-٩٨. والمعجم الفلسفي لجميل صليبا ١٥٠/٢. بتصرف.

(٤) سورة التحريم ٦٦ الآية ١١.

(٥) وكذلك من نهاية قصة ملكة سبأ، قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، ولم تقل: وأسلمت لسليمان؛ إشارة إلى أنها ونبيَّ الله سليمان في مسألة الإيمان والرجوع إلى الحق على قدم المساواة.

ويؤيد هذا الجانبَ النفسيَّ الشوقُ[1] الغريزيُّ إلى الأزلي الأبدي (ﷻ)، بدليل قوله تعالى: ﴿عِندَكَ بَيْتًا﴾، فـ" كأنها اختارت الجار قبل الدار، دون العكس"[2]، وهذا يشعر بجانب نفسي آخر.

قال الشيخ محمد عبد الله دراز: إن هذا الشوق الغريزي إلى الأزلي الأبدي، وهذا الطلب للكلي اللانهائي- له دلالته على مطلوبه، كدلالة الأثر على صانعه، أو الخاتم على طابعه[3].

وفي المقابل تعد المرأة وسيلة خطيرة- أي مهمة- يمكن بها غواية المجتمع وينسب إليها انحرافه، وعليه فهي مطالبة إذن بما يحقق لها الوظيفة الحقيقية، أن تكون محتشمة لا تخرج من بيتها إلا لضرورة، عابدة، قانتة.

(١) الشوق مصطلح يطلق على الحنين، ويشير هذا المصطلح أيضا إلى الشوق لشيء والحنين إلى وضع ما. مصطلحات في علم النفس للدكتور بديع القشاعلة صـ٦٤ بتصرف.

(٢) فصوص الحكم لابن عربي صـ١٧٥ بتصرف. وينظر البحر المحيط لأبي حيان ٢٩٠/٨. وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٦٦/١٤.

(٣) الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان لمحمد عبد الله دراز صـ٩٧ بتصرف.

المبحث الرابع
الجوانب النفسية في شخصية أخت موسى

ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: جانب استعداد المرأة لاستمالة ذوي الشأن.
- المطلب الثاني: جانب الحذَر عند أخت موسى (عليه السلام).

المطلب الأول
جانب استعداد المرأة لاستمالة ذوي الشأن

فقد استطاعت أخت موسى (عليه السلام) أن تؤثر على رأي فرعون وآله وكبار قومه، وتدلَّهم على مرضعة أخيها دون أن تشعرهم بأنها أمه، ودون استعانة بغيرها.

قال تعالى: ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾[1].

وتظهر استطاعتُها التأثيرَ على أصحاب القرار من خلال الآية في ثلاثة أمور:

الأول: استعمال أداة الاستفهام ﴿**هَل**﴾ لغرض العَرْض، قال ابن عاشور: عرضتْ أختُه سعيَها في ذلك- أي طلب مرضعة لموسى- بطريق الاستفهام المستعمل في العَرْض؛ تلطفاً مع آل فرعون؛ وإبعاداً للظِّنَّة عن نفسها[2].

الثاني: الترغيب في كفالة كاملة وأهل بيت جميعا، وليس مجرد إرضاع، حيث نكَّرت البيت الذي سيقوم بإرضاعه، ولم تكشف لهم عن حاله شيئاً، مع أنها زكَّت أهل ذلك البيت لمعرفتها به، وهذا من الفطنة بمكان بعد توفيق الله (عز وجل).

قال الشربيني: ولم يقل: أدلكم على امرأة؛ لتوسع دائرة النظر[3]، أي: أرادت أن تؤثر عليهم.

---

(١) سورة القصص ٢٨ من الآية ١٢.

(٢) التحرير والتنوير ٨٤/٢٠.

(٣) السراج المنير ٨٥/٣ بتصرف. وينظر تأويلات أهل السنة للماتريدي ٥٨٧/٣، وعبارته: لئلا يشعروا بأنها أمه... وليقع عندهم أنهم أهل بيت قُتِل ولدهم ولهم ولد اهـ. ونظم الدرر للبقاعي ٢٤٩/١٤، ٢٥٠، وعبارته: لتوسع دائرة الظن اهـ.=

الثالث: الترغيب في حال أهل البيت من لزوم الخير لهم، قال ابن عاشور: والعدول عن الجملة الفعلية إلى الاسمية في قوله: ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾؛ لقصد تأكيد أن النصح من سجاياهم وثابت لهم، فلذلك لم يقل: وينصحون له كما قيل: ﴿يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾[1]، أي: فلا تخشوا منهم سوءًا.

المطلب الثاني

جانب الحذر عند أخت موسى (عليها السلام)

الحذَر: التحفظ والاحتراز عن الشيء؛ خوفا منه. يقال: حَذِرَ حذَرًا من باب تعِب واحتَذَرَ واحترَزَ، كلُّها بمعنى استعَدَّ وتأهَّبَ، فهو حاذِرٌ وحذِرٌ، وحذِرَ الشيءَ إذا خافه، فالشيء محذورٌ أي مَخْوفٌ[2].

ومثال هذا الجانب النفسي في شخصية أخت موسى (عليها السلام) موقفُها تجاه أخيها الرضيع، قال الله تعالى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[3].

حيث يبين مدى الدور الذي تؤديه المرأة في القضايا المهمة والخطيرة.

=وروح المعاني للآلوسي ٥٠/٢٠، وعبارته: إشارة إلى أن المراد امرأةٌ من أهل الشرف تليق بخدمة الملوك اهـ. وكان عرف بني إسرائيل أن يكونوا مراضع وخدمة كما في المحرر الوجيز لابن عطية ٢٧٩/٤.

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ٨٤/٢٠ بتصرف. وينظر نظم الدرر للبقاعي ٢٥١/١٤.

(٢) الفروق اللغوية للعسكري صـ ٢٤٠. والمصباح المنير للفيومي ١٢٦/١، مادة: حذر. بتصرف.

(٣) سورة القصص ٢٨ من الآية ١١.

فالفعل "بَصُرَ" تضمن معنى "عَلِمَ"؛ لأنه تعدى بحرف الباء، "أي: علمتْ بمكانه، فهي لم تكن تبحث عن أخيها بعينيها فقط، وإنما كانت تقرأ الحركات والإشارات، وتتأول الرموز والألغاز"(١).

وقوله: ﴿**عَن جُنُبٍ**﴾ أي عن بُعْدٍ(٢)؛ لئلا يشعروا بها، مما يدلُّ على ذكاء أخت موسى وقيامها بمهمتها على أكمل وجه؛ لأن أم موسى ألقت إليها الأمر: ﴿**قُصِّيهِ**﴾(٣)، ولم تلفت نظرها إلى هذا الاحتياط، وهذا من حكمة المرسل الحريص على أداء دوره المطلوب على الوجه الصحيح، وهذا كله يدل على أنها كانت تملك مفاتيح التأثير.

وما أجملَ ما قاله الشاعر في هذا المعنى:

إذَا كُنْتَ في حَاجةٍ مُرْسِلاً... فأَرسِلْ حَكيماً ولاَ تُوصِهِ(٤)

وقوله: ﴿**وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾ أي: "لا يشعرون أنها أخته تتبع أخباره"(٥)- مما يدل على أنها عنصر غير مشهود، وغير مفطَن إليه أصلاً.

---

(١) إعراب القرآن العظيم لزكريا الأنصاري صـ٤٢٨. والتفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب ٣١٧/١٠. بتصرف.

(٢) جامع البيان للطبري ٥٣٢/١٩. وأنوار التنزيل للبيضاوي ١٧٣/٤.

(٣) سورة القصص ٢٨ من الآية ١١، وتمامها: ﴿**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**﴾.

(٤) البيت من بحر المتقارب، وهو لطَرَفَةَ بن العبد في ديوانه صـ٥١. ونُسِبَ أيضا للزبير بن عبد المطلب عم النبي (ﷺ) في المدخل إلى تقويم اللسان صـ٥٢١. ونُسِبَ لغيرهما. ينظر طبقات فحول الشعراء لابن سلَّام ٢٤٦/١.

(٥) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٥٨٧/٣. وتفسير العز بن عبد السلام ٤٨٢/٢. بتصرف.

المبحث الخامس
الجوانب النفسية في شخصية سحرة فرعون

ويشتمل على خمسة مطالب:

- المطلب الأول: جانب الثقة بالنفس عند السحرة.
- المطلب الثاني: جانب تأثر السحرة بدعوة موسى (عليه السلام).
- المطلب الثالث: جانب الراحة النفسية عند مؤمني السحرة.
- المطلب الرابع: جانب قوة الإيمان عند مؤمني السحرة.
- المطلب الخامس: جانب انعدام الثقة بين السحرة وفرعون.

المطلب الأول
جانب الثقة بالنفس عند السحرة

الثقةُ: مصدر قولك وَثِقَ به يَثِقُ، بالكسر فيهما، وثاقة وثِقَةً: ائتمنَه وسكنَ إليه، والثِّقةُ: مَن يُعْتَمَدُ عليه في القول والفعل(١).

ووضح هذا الجانب النفسي في شخصية السحرة، ومثاله قوله تعالى على لسانهم: ﴿قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ﴾(٢).

فقد أكد الضمير المستتر في الفعل: ﴿نَّكُونَ﴾ بالضمير المنفصل ﴿نَحۡنُ﴾، "وفي تأكيدهم ما يشعر بثقتهم بأنفسهم"(٣)، وقدرتِهم على الغلبة، سواء ابتدأ موسى (عليه السلام) بالأعمال أم كانوا هم المبتدئين.

ويؤكد هذا الجانبَ النفسيَّ- أمران:

الأول: التحدي الواضح في التخيير بكلمة "إما"، قال القاضي ابنُ عطية: وخَيَّرَ السحرةُ موسى في أن يتقدم في الإلقاء أو يتأخر... وهذا فعل الْمُدِلِّ(٤) الواثق بنفسه(٥).

لأن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا ممن له قوة وملكة في الأمر الذي يدعيه.

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٣٧١/١٠، مادة: وثق. والتعاريف للمناوي صـ١١٦. بتصرف.

(٢) سورة الأعراف ٧ الآية ١١٥.

(٣) زهرة التفاسير لأبي زُهْرة ٢٩٢٤/٦ بتصرف. وينظر كتاب من بلاغة القرآن لأحمد البدوي صـ١١٤. وغيرُه. بينما ذهب الزمخشري في الكشاف ٤٨٦/٢ إلى أن تأكيد السحرة- بضمير الفصل- يشعر برغبتهم في الإلقاء قبل موسى، وهذا جانب نفسي آخر.

(٤) أي المفرط. قال ابن دريد: أَدَلَّ الرجلُ إدلالاً إذا وَثِقَ بمحبة صاحبه فأفرط عليه. وَمَثَلٌ من أمثالهم: أَدَلَّ فَأَمَلَّ. جمهرة اللغة ١١٤/١.

(٥) المحرر الوجيز ٤٣٨/٢. وينظر الجواهر الحسان للثعالبي ٦٣/٣.

الثاني: التعبيرُ بالجملة الاسمية- في جانبهم- التي تفيد الثبوت والدوام، فلم يقل: إما أن تلقي وإما أن نلقي.

قال ابنُ جزي: عبروا عن إلقاء موسى بالفعل، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الاسمية؛ إشارةً إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه(١).

المطلب الثاني
جانب تأثر(٢) السحرة بدعوة موسى (عليه السلام)

يعتبر الحوار من وسائل التأثير في النفوس، حتى لو كان الحوار مجردَ كلمة تمضي، فإن عامل الزمن يجعل لها مكانا في النفس، حيث يبدو الحوار لأول وهلة كأنه قد انتهى إلى غير ثمرة، بينما تجد تمام القصة تبرز بعض الثمار.

ومثال ذلك: مشهد موسى (عليه السلام) مع فرعون وملائه، حين كان يدعوهم إلى الله، ويكون من صدود فرعون ما يكون- ظن المشاهِدُ أن لا ثمار لهذه الدعوة، حتى كان مشهد السحرة والحوار الذي دار بين موسى وسحرة فرعون، ثم انتهى إلى ما انتهى إليه الحوار الأول من حيث الظاهر(٣)، لكن لَمَّا حدَّث القرآنُ عن إيمان السحرة ظهر في كلامهم بعض الثمار.

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل ٣١٢/١. وينظر البحر المديد لابن عجيبة ٢٤٦/٢.

(٢) سبق التعريف بمادة التأثر والتأثير عند الحديث عن جانب أثر الحالة النفسية لأم موسى (عليه السلام) على رضيعها.

(٣) قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ الآيات، سورة طه ٢٠ الآيتان ٦١-٦٦.

قال تعالى: ﴿وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[1]، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾[2].

" فهذه العبارات تُشْعِرُ أنها صادرة من أناس أصحاب رسالة آمنوا بها، ودعوا إليها أزمانا طويلة، ولا تُشْعِرُ أنها صدرت من قوم آمنوا لِتَوِّهِم، والمقاطع الأخيرة للمشهد نفسه ربما تُبْرِزُ أكثرَ من هذا، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾[3]،[4].

بل إنّ المشهد الأخير من حياة فرعون يُبْرِزُ أن فرعون نفسَه كان قد تأثر بدعوة موسى (عليه السلام)، ولهذا نطق عند الغرق بما ينمّ عن ذلك، حين قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[5].

(١) سورة الأعراف ٧ الآيات ١٢٠- ١٢٢.
(٢) السورة السابقة الآيتان ١٢٥، ١٢٦.
(٣) سورة طه ٢٠ الآيتان ٧٢، ٧٣.
(٤) أسلوب الحوار في القرآن الكريم لعبد الله الجيوسي صـــ١٤، ١٥ بتصرف.
(٥) سورة يونس ١٠ من الآية ٩٠.

وليس معنى قول فرعون: ﴿ءَامَنت﴾ أنه ناج كما ادعى الجلال الدَّوَّاني[1] وغيره[2]؛ "لأن إيمانه لم يقبل؛ حيث كان وقت الغرغرة، والله يقول: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾[4]، وفرعون لم يكسب في إيمانه خيرا بفرض أنه آمن"[5].

المطلب الثالث

جانب الراحة النفسية[6] عند مؤمني السحرة

ومثاله قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾[7].

---

(١) محمد بن أسعد الصديقي الدَّوَّاني، جلال الدين: قاض، باحث، فيلسوف. من مصنفاته: تفسير سورة الكافرون، وشرح تهذيب المنطق، والأسئلة الشريفة القرآنية، وغيرها، توفي نحو سنة ثمان وتسعمائة. هدية العارفين لإسماعيل البغدادي ٢/٢٢٤ بتصرف.

(٢) إيمان فرعون صـــ١٣ بتصرف. وسبقه إلى القول بإيمان فرعون- محي الدين ابنُ عربي في فصوص الحكم صـــ٢٠١.

(٣) سورة النساء ٤ من الآية ١٨.

(٤) سورة الأنعام ٦ من الآية ١٥٨.

(٥) فَرُّ العون من مدعي إيمان فرعون للمُلَّا علي القاري صـــ٥٠. وقصص الأنبياء للنجار صـــ٢٠١. بتصرف.

(٦) سبق التعريف بهذا العنوان عند الحديث عن هذا الجانب في شخصية موسى (عليه السلام).

(٧) سورة الأعراف ٧ من الآية ١٢٦.

حيث عبر القرآن الكريم بالفعل ﴿أَفْرِغْ﴾ بمعنى "صُبَّ"(١)، وكأن "أَفْرِغْ" يعني إناء يفرغ في إناء ثانٍ، فيصبح الإناء الأول فارغا والثاني مملوءًا(٢)، وكأن الداعي هنا يقول: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ يعني: "يا رب صُبَّ في داخلنا الصبرَ على وعيد فرعون"(٣).

ولكن فرق بين "أَفْرِغْ" و"صُبَّ"، فالأول يوحي بالرفق واللين، والثاني يؤذن بالشدة والقوة(٤)، وخصوصا أن فيه حرفاً من حروف الشدة وهو الباء.

ولذلك جاء التعبير هنا بالفعل ﴿أَفْرِغْ﴾ في جانب الصبر دون "صُبَّ"؛ للكشف عن جانب نفسي هو: السكينة والطمأنينة والراحة النفسية التي تعم هؤلاء المؤمنين وتغمرهم، والتي ينالها من مُنِحَ هذا الصبرَ الجميل، وذلك من رحمته (ﷻ). وهذه الراحةُ تشبه تلك الراحةَ النفسية التي يُحِسُّ بها من هدأ جسمه بماء يُلْقَى عليه فيعم ظاهرَه ويتسرب إلى باطنه فيُلْقِي في القلوب بردًا وسلامًا، وهدوءً واطمئنانًا (٥).

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٤٤٦/٨ بتصرف، مادة: فرغ.

(٢) التحرير والتنوير لابن عاشور ٥٦/٩ بتصرف.

(٣) أنوار التنزيل للبيضاوي ٢٩/٣ بتصرف.

(٤) ولذلك استخدم الفعل "صُبَّ" عند الحديث عن العذاب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ﴾ وقوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾.

(٥) من بلاغة القرآن لبدوي صـــ١٦٨. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٩٠٦/٢. بتصرف. حيث شبه الصبر بالماء بجامع العموم والنفع والراحة، ثم حذف المشبه به وهو الماء ورمز إليه بشي من لوازمه وهو الإفراغ على سبيل الاستعارة المكنية، وإثبات الإفراغ للصبر استعارة تخييلية. الصناعتين لأبي هلال العسكري صـــ ٢١٠. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٥٦/٩. بتصرف.

قال الرازي: في الآية فوائد: الأولى: ﴿**رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا**﴾ أكملُ من قوله: "أنزل علينا صبرا"؛ لأن إفراغ الإناء هو صَبُّ ما فيه بالكلية، فكأنهم طلبوا من الله كل الصبر لا بعضه. والفائدة الثانية: أن قوله: ﴿**صَبۡرٗا**﴾ بصيغة التنكير يدل على الكمال والتمام، أي: صبرا كاملا تاما كقوله تعالى: ﴿**وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٖ**﴾[1]، أي: على حياة كاملة تامة[2].

المطلب الرابع
جانب قوة[3] الإيمان عند مؤمني السحرة

تقدم التعريفُ لمادة القوة، وكلامُ أبي البقاء الكفوي بأنها تكون في البدن وتكون في القلب[4]. أما الإيمان فعرَّفه الراغبُ بقوله: وتارة يُسْتَعمَلُ الإيمانُ على سبيل المدح، ويراد به: إذعانُ النفسِ للحق على سبيل التصديق، وذلك باجتماع ثلاثةِ أشياء: تحقيقٌ بالقلب، وإقرارٌ باللسان، وعملٌ بحسَب ذلك بالجوارح[5].

وقد اتضحت قوة الإيمان في شخصية المؤمنين من السحرة، ومثاله قوله تعالى على لسان فرعون مخاطبا لهم: ﴿ **قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخۡلِ وَلَتَعۡلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابٗا وَأَبۡقَىٰ**﴾[6].

---

(١) سورة البقرة ٢ من الآية ٩٦.

(٢) مفاتيح الغيب ٢١٨/١٤ بتصرف.

(٣) سبق التعريف بمادة القوة عند الحديث عن هذا الجانب في شخصية موسى (عليه السلام).

(٤) الكليات صـــ٧١٨ بتصرف، فصل القاف.

(٥) المفردات للراغب صـــ ٢٦ بتصرف، مادة: أمن.

(٦) سورة طه ٢٠ الآية ٧١.

ففيه تهديد فرعون هؤلاء المؤمنين على إيمانهم بموسى بهذا التهديد الشديد، قال ابن عباس (رضي الله عنه): «**وَكَانَ أَوَّلُ مَنْ قَطَّعَ الأَيْدِي وَالأَرْجُلَ وصَلَّبَ- فِرْعَونَ**»(١).

وهذا يشير إلى جانب نفسي عند مؤمني السحرة، وهو: قوة إيمانهم، قال (عليه السلام): «**يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ**» الحديث (٢).

---

(١) أخرج نحوه بسنده الطبري في جامع البيان ٣٤/١٣ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضي الله عنه). وابنُ أبي حاتم في تفسيره ١٥٣٧/٥ عن سعيد بن جبير مرسلاً، عند تفسير قوله: ﴿**لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ**﴾ الآية ١٢٤ من سورة الأعراف ٧. وذكره السيوطي في الدر المنثور ٥٠١/٦ وعزاه لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس (رضي الله عنه). وإسناد ابن أبي حاتم صحيح؛ لما نبه إليه في مقدمة تفسيره بقوله: تحريت إخراج ذلك- التفسير- بأصح الأخبار إسناداً، وأشبهها متناً اهـ. تفسير ابن أبي حاتم ١٤/٢.

(٢) جزء حديث رواه أحمد في مسنده ٧٨/٣. والترمذي في سننه، الزهد/الصبر على البلاء، ٦٠١/٤، وقال: حسن صحيح اهـ. والسيوطي في الجامع الصغير صـ٦٩، وقال: صحيح اهـ. جميعهم عن سعد بن أبي وقاص. ولفظه عند أحمد: قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَالَ: «**الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ، فَالْأَمْثَلُ مِنَ النَّاسِ، يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلابَةٌ زِيدَ فِي بَلائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَمْشِيَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ لَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ**».

ويؤكد هذا الجانب النفسي عند هؤلاء المؤمنين- أمران:

أولهما: تكرير الإلقاء[١] بمعنيين متناقضين، قال جار الله الزمخشري: سبحان اللهِ ما أعجبَ أمرَهم! قد ألقوا حبالهم وعصيهم والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة بالشكر والسجود، فما أعظمَ الفرقَ بين الإلقاءين[٢]!

وقال ابن المنير معلقاً على الكشاف: في تكرير لفظ الإلقاء والعدولِ عن قوله: "فسجد السحرة"- إشعارٌ بلطفه في نقلهم من غاية الكفر والعناد إلى غاية الإيمان والانقياد، ويحصل ذلك بتكرير لفظ واحد لمعنيين متناقضين[٣].

ثانيهما: جانب نفسي هو: هوان الدنيا في نفوس هؤلاء المؤمنين، كما قال تعالى: ﴿ **فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ** ﴾[٤].

فما أهون الدنيا في حس المؤمنين الموصولين بالله! قال الشيخ محمد أبو زُهْرة (رحمه الله): وهنا تتجلَّى قوة الإيمان؛ لأنه إذا سكن القلب واطمأنت به النفس هان تهديد العباد ولو كان من فرعون ذي الأوتاد[٥].

---

(١) الأول مقدر في قوله: ﴿**قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ**﴾ الآية ٦٦، أي: فألقَوا فإذا حبالهم إلخ. والإلقاء الثاني في قوله: ﴿**فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ**﴾ الآية ٧٠.

(٢) الكشاف ٩٦/٤.

(٣) الإنصاف ٥٤٥/٢ بتصرف.

(٤) سورة طه ٢٠ من الآية ٧٢.

(٥) المعجزة الكبرى "القرآن" صـــ١٨٩.

المطلب الخامس

جانب انعدام الثقة[1] بين السحرة وفرعون

ففرعونُ بعد أن جمع السحرة، وكلُّهم أَمَلٌ أن يحققوا مكاسب كثيرة، وهم يعرفون صلف فرعون- أحبوا أن يستوثقوا لأنفسهم، فألقوا كلامهم مؤكَّداً بمؤكِّدات عدة، وهي: "إنَّ، ولام الابتداء، وضمير الفصل"[2]، كما في قوله تعالى على ألسنتهم: ﴿أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾[3]، ويؤكد فرعونُ لهم في رده عليهم: ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[4].

وهذه المؤكِّدات تشير إلى جانب نفسي هو: "فِقْدانُ الثقة المتبادلةِ وانعدامُها بين الطرفين"[5] مما يجعل كلا من فرعون والسحرة يتوجس خيفة من الآخر، ويتربص به الغدر والدوائر؛ إذ لو كانت بينهم وبينه ثقة متبادلة لَمَا وُجِدَتْ هذه التأكيدات.

---

(١) تقدم توضيح مادة الثقة عند الحديث عن جانب الثقة بالنفس عند السحرة.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٣٦٠/٤. وتمهيد القواعد لناظر الجيش ٧٧٨/١، ٧٧٩. بتصرف.

(٣) سورة الشعراء ٢٦ من الآية ٤١.

(٤) السورة السابقة الآية ٤٢.

(٥) البلاغة فنونها وأفنانها لفضل حسن عباس صـــ١٢٤ بتصرف.

المبحث السادس

الجوانب النفسية في شخصية مؤمن آل فرعون

ويشتمل على مطلب واحد

جانب الاستعطاف والشفقة في النصح

تقدمت الإشارة إلى أن العاطفة تتكون نتيجة تكرار عدة انفعالات حول موضوع معين، إذ لا يكفي لتحول الانفعال إلى عاطفة أن يحدث مرة واحدة، ولكن لابد لحصول ذلك أن تتكرر مرات حدوثه حول الموضوع(١).

فـ"التكرار هو السبيل الوحيد لربط الانفعال بالعاطفة وتركزِه حولها، إلى جانب ما يثيره من انفعالات أخرى تدخل في تركيبها، وذلك واضح في تكون عاطفة حب الأم لابنها، وعاطفة بغض الطفل للمدرسة، فإن تكرار الحنو في الحالة الأولى في مواقف متنوعة، وكذلك تكرار انفعال الخوف في الحالة الثانية- يعتبران النواة التي تجمعت حولها الانفعالات الأخرى المكونة للعاطفة"(٢).

ومن ذلك تكرارُ النداء بلفظة: ﴿**يَٰقَوۡمِ**﴾ على لسان مؤمن آل فرعون، قال تعالى: ﴿**يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ**... ﴿٢٩﴾ **وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ** ﴿٣٠﴾.... **وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ** ﴿٣٢﴾ .... **وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ**

---

(١) تقدمت الإشارة إلى أن العاطفة مجموعة من الانفعالات كما ورد في معجم المصطلحات النفسية والتربوية لمحمد مصطفى صـــ١٨٨ بتصرف.

(٢) الدوافع النفسية د/مصطفى فهمي صـــ١٠٠، ١٠١ بتصرف.

﴿ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ.... ۞ وَيَٰقَوۡمِ مَا لِيٓ أَدۡعُوكُمۡ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدۡعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

ففي كلام مؤمن آل فرعون تكرر النداءُ بلفظة: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ ست مرات؛ إشارة إلى جانب نفسي هو: زيادة الاستعطاف[2] أو إيقاظ العاطفة من الغفلة في نفوس المخاطبين؛ لترغيبهم في قبول النصح، واستمالتِهم وحملِهم على الاستجابة لما يدعوهم إليه كل مرة.

ويصح أن يشتمل تكرار لفظة: ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ في قول هذا المؤمن، على عدة جوانب نفسية أخرى:

أولها: "التنبيه على ما ينفي التهمة- أي يبعدها عنه-؛ ليكمُل تلقي الكلام بالقبول"[3]، أي: "يا مَنْ لا قيام لي إلا بهم- لكونهم أهلَه- فأنا غير مُتَّهَمٍ في نصيحتهم"[4]؛ لأنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه.

وثانيها: "الاعتناء بالمنادَى له، والمبالغة في توبيخهم على تثاقلهم عن الاستماع إليه، وعلى ما يقابلون به نصحَهُ"[5] من إدبار وإعراض، كما تُبين ذلك الآياتُ.

قال الزمخشري: فإن قلتَ: لم كرر نداء قومه؟ إلخ- قلتُ: تكرير النداء فيه زيادةُ تنبيهٍ لهم، وإيقاظٌ عن سِنَةِ الغفلة. وفيه: أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم، وهو يعلم وجه خلاصهم، ونصيحتُهم عليه واجبة، فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك أن لا يتهموه، فإنّ سرورَهم سرورُه، وغمَّهم

(١) سورة غافر ٤٠ من الآيات ٢٩: ٤١.
(٢) نظم الدرر للبقاعي ٥٧/١٧ بتصرف.
(٣) البرهان للزركشي ١٣/٣.
(٤) نظم الدرر للبقاعي ٧١/١٧، ٧٢.
(٥) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ١٩/٥ بتصرف.

غمُّه، وينْزِلُوا على تنصيحه لهم، كما كرر إبراهيم (عليه السلام) في نصيحة أبيه: ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾[1]،[2].

كما يَبْرُزُ جانب إبعاد التهمة أيضاً في نصح مؤمن آل فرعون عند قوله تعالى: ﴿يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ﴾، حيث أدرج نفسه في قومه عند ذكر الشر بقوله: ﴿يَنصُرُنَا﴾ أي: أنا وأنتم، بعد إفراده لهم بالملك بقوله: ﴿لَكُمُ ٱلْمُلْكُ﴾؛ إبعاداً للتهمة عن نفسه؛ وحثاً على قبول النصيحة.

قال الآلوسي: وإنما نَسَب ما يَسُرُّهم من الملك والظهورِ في الأرض إليهم خاصة، ونَظَم نفسَه في سلكهم فيما يسوءهم من مجيء بأس الله تعالى؛ تطييبا لقلوبهم؛ وإيذانا بأنه مُنَاصِحٌ لهم سَاعٍ في تحصيل ما يجديهم ودفعِ ما يُرْدِيهم سعيَه في حق نفسه؛ ليتأثروا بنصحه[3].

(١) سورة مريم ١٩ من الآيات ٤٢: ٤٥.

(٢) الكشاف ٣٤٩/٥، ٣٥٠.

(٣) روح المعاني ٦٥/٢٤.

المبحث السابع
الجوانب النفسية في شخصية ابنتي الشيخ الكبير

ويشتمل على أربعة مطالب:

- المطلب الأول: جانب حرص المرأة على تبرير مواقفها.
- المطلب الثاني: جانب شدة الحياء عند ابنة شعيب.
- المطلب الثالث: جانب تغليب العاطفة على العقل عند المرأة.
- المطلب الرابع: جانب حب السَّتْر عند زوجة موسى (عليه السلام).

المطلب الأول

جانب حرص المرأة على تبرير مواقفها[١]

وأمثلة هذا الجانب النفسي:

١- قوله تعالى على لسان ابنتي الشيخ الكبير: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[٢].

فهذا تعليل ابنتي الشيخ الكبير لخروجهما إلى مدين في مباشرة سُّقي الغنم بأنفسهما، وامتهانِ هذه المهنة مع أنها للرجال[٣].

قال الزمخشري: فإن قلتَ: كيف طابق جوابُهما سؤالَه- قلتُ: سألهما عن سبب الذود[٤]، فقالتا: السبب في ذلك أنَّا امرأتان ضعيفتان مستورتان، لا نقدر على مساجلة[٥] الرجال ومزاحمتهم، فلا بد لنا من تأخير السُّقي إلى أن يفرغوا،

---

(١) سبق التعريف بمعنى التبرير عند الحديث عن هذا الجانب في شخصية امرأة فرعون.

(٢) سورة القصص ٢٨ من الآية ٢٣.

(٣) اختلف المفسرون في قولهما: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ هل هو إبداء منهما للعذر له (عليه السلام) في توليهما السُّقي بأنفسهما ؟ أو أنه ترقيق واستعطاف لقلب موسى حتى يَسقيهما؟ على قولين: ذهب إلى احتمال القولين معاً- جمعٌ من المفسرين منهم: الماوردي، والعز بن عبد السلام، وأبو حيان. بينما ذهب إلى القول الأول دون الثاني الجمهورُ، ومنهم: النسفي وأبو السعود والآلوسي. ينظر النكت والعيون للماوردي ٢٤٦/٤. وتفسير العز ٤٨٥/٤. ومدارك التأويل للنسفي ٦٣٦/٢. والبحر المحيط لأبي حيان ١٠٨/٧. وإرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢٩٩/٤. وروح المعاني للآلوسي ٦٠/٢٠. بتصرف. ولا يوجد مانع من إرادة القولين معا، فالقرآن الكريم كتابٌ حَمَّالُ أوجه.

(٤) الذَّوْدُ: السَّوْقُ والطرد والدفع...، ويقال: ذُدتُّ فلاناً عن كذا أذوده أي طردتُّه. لسان العرب لابن منظور ١٦٧/٣، ١٦٨ مادة: زود.

(٥) ساجَلَ الرجلَ: باراه، وأصله في الاستقاء...، والمساجلةُ: المفاخرةُ بأن يصنع مثل صنيعه في جَرْيٍ أو سُقْيٍ. المرجع السابق ٣٢٦/١١ مادة: سجل.

وما لنا رجل يقوم بذلك، وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به، أبدتا إليه عذرهما في توليهما السُّقي بأنفسهما[1].

فقد كان قولهما: ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ جواباً عن سؤال موسى المعلن، وهو ما سبب عدم السقي؟ بينما كان قولهما: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾[2] جواباً عن سؤال مضمر في نفس موسى أحسَّتا به، وهو لِمَ لَمْ يأت رجلٌ مكانكما؟

٢- قولُه تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾[3].

حيث بينت ابنةُ الشيخ الكبير سببَ الدعوة بأقصر لفظ وأخصره، وهو جزاء الإحسان بالإحسان والمعروف بالمعروف[4].

قال ابن كثير: وهذا تأدب في العبارة، لم تطلبْه طلبا مطلقا؛ لئلا يوهم ريبة، ومعنى الآية: يدعوك؛ ليثيبك ويكافئك على سقيك لغنمنا[5].

---

(١) الكشاف ٤٩١/٤ بتصرف. وبذلك يتضح أسلوب الكناية في ختام الآية، وتعرف بأنها: لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى. كقولهم في المرأة: "فلانة نؤوم الضحى" أي مرفهة مخدومة، غير محتاجة إلى السعي؛ وذلك أن وقتَ الضحى وقتُ سعي نساء العرب في أمر المعاش وكفاية أسبابه، وتحصيل ما تحتاج إليه، فلا تنام فيه من نسائهم إلا من تكون لها خدم ينوبون عنها في السعي لذلك. مفتاح العلوم للسكاكي صـــ٤٠٢. والإيضاح للقزويني صـــ٢٤١. بتصرف.

(٢) سورة القصص ٢٨ من الآية ٢٣.

(٣) السورة السابقة من الآية ٢٥.

(٤) وقد نص على تعليل دعوة الوالد بالجزاء- جمعٌ من المفسرين منهم: البقاعي في نظم الدرر٢٦٩/٤، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم ٣٠٠/٤، والآلوسي في روح المعاني٦٥/٢٠.

(٥) تفسير القرآن العظيم ٤٥١/١٠ بتصرف.

أي لم تقل: "إني أدعوك"؛ لئلا يتوهم من كلامها شيء من الريبة، ورحم اللهُ امرأً جب الريبة عن نفسه.

٣- قولُه تعالى: ﴿**قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ**﴾[(١)].

حيث بينت سبب استئجاره (عليه السلام) وهو القوة والأمانة، ومن جمع في سلوكه وتعامله بين هاتين الصفتين كان محلا لثقة الناس به[(٢)].

قال البيضاوي: ﴿**إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ**﴾ تعليل شائع، يجري مجرى الدليل على أنه حقيق بالاستئجار، وللمبالغة فيه جعل ﴿**خَيْرَ**﴾ اسماً، وذكر الفعل بلفظ الماضي؛ للدلالة على أنه امرُؤٌ مجرَّب معروف[(٣)].

فالآيات الكريمة تشير إلى جانب نفسي عند المرأة هو: أنها من طبعها الحرص على تبرير مواقفها، إذ هي أقدر على التبرير من الرجل، وأسرع بديهة منه في هذا الجانب.

(١) سورة القصص ٢٨ من الآية ٢٦.

(٢) وقد نص على تعليل الاستئجار بهذين الوصفين- أكثرُ المفسرين، منهم: أبو حيان في البحر ١٠٩/٧، وأبو السعود في إرشاد العقل السليم ٣٠١/٤، والآلوسي في روح المعاني ٦٦/٢٠.

(٣) أنوار التنزيل ١٧٥/٤ بتصرف.

المطلب الثاني
جانب شدة الحياء عند ابنة شعيب

الحياء لغة: مشتق من الحياة، وهو تغير وانكسار يعتري الإنسان من خوف ما يعاب به. واصطلاحاً: انقباضُ النفس عن القبائح وتركُها. أو هو: خلق يبعث على ترك القبح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق(١).

ومثالُ ذلك:

١- قولُه تعالى: ﴿**فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ**﴾ الآية(٢).

يصف حياء ابنةِ شعيب، فعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: «**جَاءَتْ تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ، قَائِلَةً بِثَوْبِهَا عَلَى وَجْهِهَا، لَيْسَتْ بِسَلْفَعٍ(٣) مِنَ النِّسَاءِ وَلَّاجَةً خَرَّاجَةً**»(٤).

ويبرُزُ حياؤها من خلال الآية الكريمة في خمسة أمور:

الأول: التعبير بالأرجل ونحوِها عن الحالة النفسية لها وهي مشيتها على استحياء، فلم يقل: تمشي على رجليها أو على بساط.

الثاني: استعمال حرف ﴿**عَلَىٰ**﴾ للاستعلاء المجازي(٥)؛ للإشـــارة إلى تمكنها

---

(١) المفردات للراغب صـــ١٤٠. وفتح الباري لابن حجر ٥٢/١. بتصرف.

(٢) سورة القصص ٢٨ من الآية ٢٥.

(٣) السَّلْفَعُ من الرجال: الْجَسُورُ، ومن النساء: الجريئةُ السليطة، ومن النُّوق: الشديدةُ. الصحاح للجوهري ١٢٣١/٣، مادة: سلفع.

(٤) أخرج نحوَه موقوفا ابن جرير في جامع البيان ٥٥٩/١٩، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٩٦٥/٩. ونسبه ابن كثير لابن أبي حاتم في تفسيره ٤٥١/١٠، وقال: إسناده صحيح.

(٥) قال ابن الأثير: حرف "على" في اللغة: بمعنى الاستعلاء الحسي، تقول: "زيد على الفرس"، فما بعد الحرف حسي اهـــ. البديع في علم العربية ٢٤٨/١ بتصرف. وهنا استعمل الحرف في غير ما وضع له؛ لأن الحياء معنوي، لكن لما كانت ابنة شعيب متصفة بالحياء متمكنة منه تمكن الراكب من المركوب- شبه الحياء بمركوب حقيقي، واستعمل فيه حرف "على" تجوزا، وتقرير الاستعارة: أن يشبه الحياء بمركوب بجامع=

من الوصف وتملُّكِها لزمامه[1]، ونظيرُ ذلك قولُه تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾[2].

الثالث: التعبير بقوله: ﴿**ٱسْتِحْيَآءٍ**﴾ دون "حياء" أو نحوِه؛ للإشارة إلى شدة حيائها[3]، قال أهل العربية: زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى[4].

الرابع: الألف والسين والتاء في قوله: ﴿**ٱسْتِحْيَآءٍ**﴾- تدل على الطلب، فكأن ابنةَ شعيبٍ تريد أن تثير في مقابلها هذه الخصلة الشريفة.

الخامس: توسطُ قولِه تعالى: ﴿**عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ**﴾ بين جملتين: جملة المشي وجملة القول؛ للإشارة إلى أن الحياء كان من طبيعتها قولا وعملا وسلوكاً.

قال السمرقندي: الوقف على: ﴿**تَمْشِى**﴾ إذا كان قولها على الحياء. أما إذا كان مشيها على الحياء، فالوقف على ﴿ **ٱسْتِحْيَآءٍ**﴾... فكيف ما يقفُ يجوزُ المعنى[5].

فالآية الكريمة تشير إلى جانب نفسي هو: " أن من الطباع التي جبلت عليها المرأة الخيِّرة السوية- كونَها أشدَّ حياءً من الرجل، وميلَها إلى التخفي

=الاستعلاء والتمكن والاستقرار، ثم يسري هذا التشبيه إلى تشبيه تمسك المرأة بالحياء باعتلاء الراكب على المركوب بجامع مطلق تمكن شيء من شيء، ثم يستعار "على" الموضوع لتمكن شيء من شيء- لتمكن المرأة من الحياء على سبيل الاستعارة التبعية.

(١) نظم الدرر للبقاعي ٢٦٨/١٤. والتحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٣/٢٠. بتصرف.

(٢) سورة القلم ٦٨ الآية ٤.

(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٠٣/٢٠ بتصرف.

(٤) قال ابن جني- في الخصائص ٢٦٤/٣-: باب في قوة اللفظ لقوة المعنى اهـ. وقال الصبان- في حاشيته ٤٤٨/٢-: زيادة البناء تدل على زيادة المعنى اهـ.

(٥) بحر العلوم ٥١٤/٢ بتصرف يسير. وينظر مفاتيح الغيب للرازي ٢٤٠/٢٤.

والتستر"[1]، وأن الحياء سمتُ وزينةُ المرأة، وأعلى مراحل كرامتها، وأعظم مراتب شخصيتها.

٢- قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[2].

ويظهر في الآية جانب الحياء؛ حيث سلكت ابنةُ شعيبٍ مسلك التعميم والإبهام في الكلام.

قال ابن المنير: وهو أجمل وأليق- في مدح النساء للرجال- من المدح الخاص، وأبقى للتحشم والتصون، خصوصاً إن كانت فهمت أن غرض أبيها هو تزويجها منه، فقالت البنتُ ما قالت لأبيها، وهي تعني: استأجِرْ موسى؛ لقوته وأمانته[3]. ولكن منعها الحياء الفطري أن تنطق بهذا الأمر.

المطلب الثالث

جانب تغليب العاطفة على العقل عند المرأة[4]

ومثاله قوله تعالى: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[5].

وفيه يظهر جانب تغليب العواطف، لما وجدت ابنةُ الشيخ الكبير الفرصةَ سانحة ليقوم رجل بمهمة السقي والرعي بدلا عنهما، وتلك مهمة شاقة لا يقوى

(١) الصحة النفسية للمرأة لمحمد عبد الفتاح المهدي صـ٢٩ بتصرف.

(٢) سورة القصص ٢٨ من الآية ٢٦.

(٣) الإنصاف لابن المنير ١٧٢/٣ بتصرف. وينظر روح المعاني للآلوسي ٦٦/٢٠.

(٤) تقدم التعريف بمادتي العقل والعاطفة عند الحديث عن هذا الجانب في شخصية امرأة فرعون.

(٥) سورة القصص ٢٨ الآية ٢٦.

عليها إلا الرجال، فاقترحت على أبيها- الذي يبدو أنه لم يكن ليأمن قلبه لأجير- أن يستأجر موسى (عليه السلام)، وصدرت كلامها بقولها: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ الذي يفيد الاستعطاف، "وذكر الفعل ﴿ٱسْتَـْٔجَرْتَ﴾ بلفظ الماضي؛ للدلالة على أن قوته وأمانته أمر مجرَّب ومعروف"(١).

وقال الزمخشريّ: قولها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾- كلام حكيم جامع لا يزاد عليه؛ لأنه إذا اجتمعت هاتان الخصلتان، أعني: الكفاية والأمانة في القائم بأمرك، فقد فرغ بالك وتم مرادك. وقد استغنت بإرسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة- أن تقول: استأجِرْه لقوّته وأمانته(٢).

ويستجيب شعيبٌ لهذا الطلب في غير تردد، ويستشعر بمشاعر الأب ما بنفس ابنته من مشقة العمل وعجزها عنه، خصوصا أنها وأختها تعانيان من مزاحمة الرجالِ على الماء، ومن الاحتكاك الذي لا بد منه للمرأة التي تزاول أعمال الرجال. وهي تتأذى وأختها من هذا كله، وتريد أن تكون امرأة- كباقي النساء- تأوي إلى بيت، لا تحتك بالرجال الغرباء في المرعى والمسقى.

(١) أنوار التنزيل للبيضاوي ١٧٥/٤ بتصرف. وفي إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٣٠١/٤ بتصرف: وقوته فيما كان من السقي وحده ولا يقدر عليه إلا عدة رجال، وأمانته في غضه البصر عنها وقد جاءته تستدعيه.

(٢) الكشاف ٤٩٣/٤. وفي الإنصاف لابن المنير ٤٠٣/٣ بتصرف: وما أحسنَ ما أَخَذَ الفاروقُ من هذا المعنى فقال: «أشكو إلى الله ضَعفَ الأمينِ وخيانةَ القوي» ففي ضمن هذه الشكاية سؤالُ الله أن يُتحِفَهُ بقويٍّ أمينٍ يستعينُ به فيما هو بصدده.

المطلب الرابع

جانب حب الستر عند زوجة موسى (عليه السلام)

مادة السَّتْر تأتي بمعنى التغطية والخفاء وحُبِّ الصَّوْن، قال الراغبُ: السَّتْرُ تغطيةُ الشيء، والسِّتْرُ والسُّتْرةُ ما يُسْتَرُ به، والاستتارُ الاختفاءُ[1]. وفي الحديث: «**إنَّ اللهَ (عز وجل) حَيِيٌّ سَتِّيرٌ يُحِبُّ الحياءَ والسَّتْرَ**»[2]، وسِتِّيرٌ: فعيل بمعنى فاعل: أي من شأنه وإرادته حبُّ السَّتْرِ والصَّوْن[3].

وكان هذا واضحا في شخصية زوجة موسى (عليه السلام)، ومثالُه قوله تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ**﴾[4].

حيث وردت كلمة "أهل" مضافة إلى موسى (عليه السلام) في ثلاث آيات[5]،

---

(١) المفردات صـ٢٢٣ بتصرف، مادة: ستر.

(٢) جزء حديث رواه أحمد في مسنده ٤٨٣/٢٩. وأبو داود في السنن، أول كتاب الحمَّام/النهي عن التعري، ١٣٠/٦. والنسائي في السنن الصغرى، الغسل والتيمم/باب الاستتار عند الاغتسال، ٢٠٠/١. جميعا عن يعلى بن أمية (رضي الله عنه). وقال الشوكاني في نيل الأوطار ٤٠٠/٢: الحديث رجالُ إسنادِه رجالُ الصحيح. وتمام الحديث: «**إن الله (عز وجل) حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يحب الحياءَ والسَّتْرَ، فإذا اغتسلَ أحدُكم فليَسْتَتِرْ**».

(٣) النهاية لابن الأثير ٣٤١/٢.

(٤) سورة القصص ٢٨ الآية ٢٩.

(٥) في سورة طه ٢٠ الآية ١٠، وهي: ﴿**إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى**﴾. وسورة النمل ٢٧ الآية ٧، وهي: ﴿**إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ**﴾. وسورة القصص ٢٨ الآية ٢٩.

والمراد بها زوجته بنت شعيب[١]، قال الراغب: وعبر بأهل الرجل عن امرأته[٢].

وقد تحدثت عنها الآية الكريمة بلفظ "الأهل"، وخاطبها موسى (عليه السلام) بخطاب جمع الذكور: ﴿ءَاتِيكُم﴾ و﴿لَعَلَّكُمْ﴾، وكنى عنها بضمير جمع الذكور تغليبا أيضاً: ﴿ٱمْكُثُوٓا﴾، وذلك إشارة إلى جانب نفسي مهم عند المرأة هو: حب السَّتْر والصَّوْن، وأن وضع المرأة الطبيعي أن تبقى مستورة، محفوظة الكرامة، لا يشار إليها بالبنان ويعرفها القاصي والداني.

"فالمرأة لم تذكر باسمها صراحة في القرآن، إلا ما كان من شأن مريم عليها السلام، حيث ذكرها باسمها صريحا، ومنه قولـــــه تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ﴾[٣]، وقوله: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾[٤]؛ وذلك لأن النصارى كانوا يَدَّعُون أن عيسى (عليه السلام) ابنُ الله، فكان في ذكر نسب عيسى (عليه السلام) إلى أمه- إبطالٌ لهذا المدَّعَى عندهم، وإثبات أنه ابن مريم، وأنه ولد لغير أب"[٥].

(١) ينظر زاد المسير لابن الجوزي ٦/٢١٦.

(٢) المفردات في غريب القرآن صـــ٢٩، مادة: أهل.

(٣) سورة التحريم ٦٦ من الآية ١٢، وتمامها: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾.

(٤) سورة مريم ١٩ من الآية ٣٤.

(٥) الفن القصصي في القرآن الكريم لمحمد خلف الله صـــ ٣٠٤، ٣٠٥ بتصرف.

المبحث الثامن
الجوانب النفسية في شخصية فرعون

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: جانب التثاقل النفسي من المواجهة.
- المطلب الثاني: جانب شدة الغضب عند فرعون.
- المطلب الثالث: جانب هدف الخصوم إلى زعزعة الثقة.

المطلب الأول
جانب التثاقل النفسي من المواجهة

الثِّقَلُ: ضدُّ الخفة، فالأول: قوة يُحَسُّ من محلها بواسطتها مدافعةٌ هابطة، كالحجر والمدر، والثاني: قوة يُحَسُّ من محلها بواسطتها مدافعةٌ صاعدة كالنار والدخان. وأصلُ الثِّقَل في الأجسام ثم يقال في المعاني نحو: أثقله الغُرْمُ والوِزْرُ، والثِّقَلُ في الآدمي يستعمل تارة في الذم وهو أكثر في التعارف، وتارة في المدح(١).

والمراد هنا المذموم، الذي يستعمل في المعاني، حيث فيها نوعُ مدافعةٍ وَهَمٍّ وثِقَل.

وقد كان هذا الجانب النفسي جليا في شخصية فرعون، ومثاله قوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ﴾(٢).

حيث عبر عن تولي فرعون وجمعه الجموع والحشود والأعوان، وكل ما يستطيعه من كيد- بـــ"فاء" السرعة(٣)، فقال: ﴿**فَتَوَلَّىٰ.. فَجَمَع..**﴾، ثم عدل في التعبير عن إتيان فرعون ومواجهته موسى (عليه السلام) إلى حرف التراخي "ثم"(٤)، حيث قال: ﴿**ثُمَّ أَتَىٰ**﴾.

---

(١) المفردات للراغب صـــ٧٩، مادة: ثقل. والكليات للكفوي صـــ٣٢٣، فصل الثاء. بتصرف.

(٢) سورة طه ٢٠ الآية ٦٠.

(٣) مغني اللبيب لابن هشام ٤٧٩/٢ بتصرف. حيث أورد أن الفاء تفيد الترتيب والتعقيب.

(٤) المرجع السابق ٢٢٧/٢ بتصرف. حيث أورد ابن هشام أن "ثم" تفيد الترتيب مع المهلة والتراخي.

ومقتضى السياق أن يكون: "فتولى فرعون ثم جمع كيده فأتى"؛ لأن جمع الناس وحشدهم والإعداد للمواجهة يستغرق مهلة من الزمن، في حين أن الإتيان العاقب للجمع هو أيسر وأسهل.

ولذلك العدول إشارة نفسية عميقة يوحي بها السياق، مفادها: أن الجمع كان أهون على فرعون من مواجهة موسى (عليه السلام)، فدلت "الفاء" في قوله: ﴿فَجَمَعَ﴾ على سرعة تحقق الجمع له وحشد الناس؛ لكونه ملكاً جباراً يخشى سطوته الجميع، فأمره بالجمع نافذ وسريع. وهو مع هذا كله يعيش هزيمة نفسية كبيرة في داخله من مواجهة موسى (عليه السلام)، فهو يقدم رجلاً ويؤخر أخرى؛ لذا عبر القرآن عن هذه الهزيمة النفسية والتثاقل النفسي بحرف التراخي "ثم" في قوله: ﴿ثُمَّ أَتَىٰ﴾.

وإلى هذا الجانب النفسي أشار أبو السعود بقوله: وفي كلمة التراخي إيماء إلى أنه لم يسارعْ إليه، بل أتاه بعد لأْيٍ- أي بطء وتأخير- وتلعثم[1].

ويؤيد هذا الجانب النفسي التعبيرُ بقوله: ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾، فالكيد: "التدبير الخفي للخَصْم"[2]، والتدبيرُ الخفي هنا ليس دليلَ قوة، بل دليل ضَعْف؛ لأنه لا قوةَ له على المجابهة الواضحة، مثل الذي يدسُّ السُّم للآخر؛ لعدم قدرته على مواجهته.

وهذا الشعور النفسي عند فرعون- هو ما سرى في نفوس قومه وأعوانه أيضاً في قولهم: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا﴾[3].

---

(١) إرشاد العقل السليم ٦٤٢/٣.

(٢) تاج العروس للزبيدي ١٢٢/٩ بتصرف. وعبارته: وقيل: الكيد: الأخذ على خفاء اهـ. والتحرير والتنوير لابن عاشور ٢٤٨/١٦ بتصرف. وعبارته: والكيد: إخفاء ما به الضر إلى وقت فعله.

(٣) سورة طه ٢٠ من الآية ٦٤.

وكأنهم- وهم يطيلون زمن النطق بـــ "ثم" قبل الدعوة إلى لقائه- يستهلكون الوقت، ويتهربون من المواجهة ويتمنون ألا تكون.

المطلب الثاني
جانب شدة الغضب عند فرعون

تقدم تعريف الغضب في البشر(١)، وأن أوله ثوران دم القلب، ونتيجته: إيصال العقاب إلى المغضوب عليه. وأن تقسيم الغضب في جانب المخلوق إلى: محمود، ومذموم، فالأول: ما كان في جانب الدِّين والحقِّ، والثاني: ما كان في خلافه(٢).

وقد كان الغضب المذموم واضحا في جانب فرعون، من خلال مواقف عديدة، ومن أمثلة ذلك:

١- قوله تعالى على لسان فرعون مهدداً سحرته الذين آمنوا: ﴿**قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ**﴾(٣) الآية.

حيث تشير إلى الجو النفسي- من الغيظ والغضب- الذي كان يعيشه الطاغوت فرعونُ لحظة اتباع السحرة لموسى (عليه السلام).

---

(١) عند الحديث عن هذا الجانب عند موسى (عليه السلام).

(٢) المفردات للراغب صـــ٣٦١. والكليات للكفوي صـــ٥٠٥، فصل الغين. بتصرف.

(٣) سورة طه ٢٠ من الآية ٧١، وتمامها: ﴿ **قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ** ﴾.

ويظهر هذا الجانب النفسي عند هذا المتغطرس- فرعونَ- من خلال هذه الآية في ثلاثة أمور:

الأمر الأول: التعبير بـــ﴿**فِي جُذُوعِ**﴾ للظرفية دون "على" للاستعلاء[١]، إذ من المعروف أن التصليب يتم على جذع النخل وليس فيه، لكن جيء بحرف الجر "في" لإفادتين:

الأولى: تضمن التصليب معنى التثوية والإكنان، أي: أُثْوِينَّكم وأُكِنَّكم، فتكون الجذوع قبوراً وأضرحةً لهذه الأشلاء، ليطول بهم المُقام في جذوع النخل وفي العراء فتأكل لحومَهم الطيرُ[٢].

قال الْمُلَّا أبو السعود: إيثار كلمةِ "في"؛ للدلالة على إبقائهم عليها زماناً مديداً، تشبيهاً لاستمرارهم عليها باستقرار المظروف في الظرف المشتملِ عليه إلخ[٣].

---

(١) إشارة إلى الخلاف بين البصريين والكوفيين، في مسألة هل حروف الجر تتناوب أم لا ؟ فذهب البصريون إلى أنها لا تتناوب، وعليه يكون حرف "في" على بابه، والفعل "أصلبنكم" المتعدي به يتضمن معنى فعل آخر يناسب حرف التعدية. بينما ذهب الكوفيون إلى أن حروف الجر تتناوب، وعليه يكون حرف "في" هنا بمعنى "على". ومال إلى هذا الرأي أغلبُ المفسرين وهو المشهور، ومن هؤلاء المفسرين أبو عبيدة معمر وابن قتيبة والطبري وغيرهم. بينما مال إلى رأي البصريين جمع من المفسرين كالزمخشري وابن عطية والرازي وغيرهم، قال الزمخشري: شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشيء الموعَى في وعائه- أي بتمكن المظروف في الظرف- فلذلك قيل: في جذوع النخل اهـــ. مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٣/٢. وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة صـــ٢٩٨. وجامع البيان للطبري ٣٣٩/١٨. والكشاف للزمخشري ٩٧/٤. والمحرر الوجيز لابن عطية ٥٣/٤. ومفاتيح الغيب للرازي ٨٧/٢٢. ومغني اللبيب لابن هشام ١٧٩/٢-١٨١. بتصرف.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش ٤٧٢/٤. والتضمين النحوي في القرآن الكريم لنديم فاضل صـــ٤٣٥، ٤٣٦. بتصرف.

(٣) إرشاد العقل السليم ٦٤٨/٣.

الثانية: لإفادة قوة التصليب بحيث تدخل أجزاء المصلوب في المصلوب عليه، فالحرف "في" يكاد ينطق بمدى الحنق والغضب الذي ألم بفرعون تلك اللحظة، ففي نيته تضعيف العذاب وتشديده عليهم، حتى لو كان بوسعه أن يعتصرهم أو يدق على أجسادهم، فينتقل أثر التصليب من على الجذوع إلى حيزها (١).

قال الدكتور/عبد العظيم المطعني: استعار متعلق الحرف "في" الكلى وهو مطلق الظرفية لمتعلق الحرف "على" وهو مطلق الاستعلاء. ثم سرى التشبيه إلى معنى الحرفين، فاستعيرت "في" لـــ"على" لتفيد هذه الاستعارةُ المبالغةَ في تصوير المعنى المراد، حتى لكأن فرعون من شدة غيظه على إيمان السحرة لم يكتف بإلصاقهم بجذوع النخل، وإنما غرس أجسادهم فيها غرسا(٢).

فالفعل "أُصَلِّب" ضُمِّن معنى "أغرس"، فكأنه قال: لأغرسن أبدانكم في جذوع النخل، أي: أدخلها، فأفادت الآية أنه لم يُرِدْ – فقط– أن يعلقهم على جذوع النخل، وإنما أراد أن يغرس لحومهم في جذوع النخل حتى تصير فيها، ولو قال: "لأصلبنكم على جذوع النخل" لما أفاد هذا المعنى، وإنما مجردَ التصليب والتعليق.

الأمر الثاني: أن الغضب يتجلّى في الفعل مشدّد العين "أقطِّعنَّ" و"أصلِّبنَّكم"، كما تضيف نونُ التوكيد معنى الشِّدة، وثَمَّةَ نبرةٌ قوية في الوقوف على الميم الساكنة ثلاث مرات: ﴿**أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم...وَلَأُصَلِّبَنَّكُم**﴾، وفي الوقوفِ على

(١) تفسير الشعراوي ٩٣٢٥/١٥، ٩٣٢٦. والتعبير القرآني والدلالة النفسية ٢٥١. بتصرف.

(٢) الموسوعة القرآنية المتخصصة ٥٤٠/١. وقيل: إنما آثر لفظة "في"؛ للإشعار بسهولة صلبهم؛ لأن "على" تدل على نبو يحتاج فيه إلى تحرك إلى فوق. البرهان للزركشي ٣٠٣/٤، وهذا جانب نفسي آخر.

الباء الساكنة في الكلمة الأخيرة ﴿**أَبْقَى**﴾، وكلُّ هذا يساعد على تجسيم الغضب وشدِّة الوعيد(١)، والله أعلم.

الأمر الثالث: التعبير بالتصليب على جذوع النخل دون غيره من الشجر، قال الدكتور سيد طنطاوي رحمه الله: واختارَ أن يصلبهم في جذوع النخل؛ لأن هذه الجذوع أخشنُ من غيرها، والتصليب عليها أشقُّ من التصليب على غيرها(٢).

فهو لطغيانه وشدة غضبه اختار أقسى ألوان العذاب ليصبَّها على هؤلاء المؤمنين.

٢- قوله تعالى- على لسان فرعون حينما أسرى موسى ببني إسرائيل-: ﴿**إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ ۝ وَإِنَّهُمۡ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ**﴾(٣).

فقد دخلت بعض المؤكِّدات وهي: "إنَّ ولام الابتداء على الجملة الاسمية، وفائدتها التأكيد لمضمون الجملة أو الخبر"(٤)، فإن قولك: "إن هؤلاء شرذمة قليلون" ناب منابَ تكرير الجملة مرتين، فإذا دخلت اللام ازداد معنى التأكيد، وكان بمنزلة تكرار الجملة ثلاث مرات، إلا أن قوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرۡذِمَةٞ قَلِيلُونَ**﴾- أوجزُ من قولك: "هؤلاء شرذمة قليلون، هؤلاء شرذمة قليلون، هؤلاء شرذمة قليلون" مع حصول الغرض من التأكيد، لكن قوله تعالى أبلغ على أساس البلاغةُ الإيجازُ.

---

(١) إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٦٤٩/٣. وجماليات المفردة القرآنية لأحمد ياسوف صـ٢٥٢. بتصرف.

(٢) التفسير الوسيط ١٢٨/٩.

(٣) سورة الشعراء ٢٦ الآيات ٥٤- ٥٦.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ١٨٠/٣. والبديع في علم العربية لابن الأثير ٤٤٥/٢. وشرح المفصل لابن يعيش ١٤٦/٥. بتصرف.

وكأنه جيء بهذه المؤكدات؛ لجانب نفسي هو: الكشفُ عن نفسية فرعون، إذ تغلي حقدًا وتتقطع غيظًا، بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ﴾: "والغيظُ أشدُّ الغضب، وهو الحرارة التي يجدها الإنسانُ من ثَوَران دمِ قلبِه، فهو أخصُّ من الغضب؛ فكلُّ غيظٍ غضبٌ، وليس كلُّ غضبٍ غيظًا"(١).

وكذلك تكشفُ هذه المؤكدات عن ما في نفوس قوم فرعون من كراهية الخروج معه وعدم الرغبة فيه، بدليل قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ﴾(٢)، أي: "رجالاً يجمعون الجنود بقوةٍ وسطوةٍ وإن كَرِهُوا"(٣).

وبذلك صورت آياتُ سورةِ الشعراء سيكولوجيةَ فرعونَ وحالتَه النفسيةَ السيئةَ تلك، التي اعترته بعد خروج موسى (عليه السلام) بقومه، وكيف أنه قد بلغ به الغيظ مبلغه؟!

المطلب الثالث
جانب هدف الخصوم إلى زعزعة الثقة

يهدف خصوم الدعوة إلى الله- إلى زعزعة الثقة في نفوس أهل الإيمان، وذلك من خلال تحطيم جدار الثقة بين الرسل وأقوامهم، ثقتِهم بمبادئهم من جهة، وثقتِهم بأنفسهم وبالآخرين من جهة أخرى، ولذلك يحرص القرآن على أن تكون الرسالةُ هي المنطلَق، والثقةُ بالرسالة هي الأساس الذي ينبغي أن تملأ النفوس، والكافر يستهدف هذه الثقة؛ ليزعزعها.

---

(١) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ للسمين الحلبي ١٨٩/٣. وفتح الرحمن في تفسير القرآن للعليمي ٦٤/٥ بتصرف.

(٢) سورة الشعراء ٢٦ الآية ٥٣.

(٣) نظم الدرر للبقاعي ٣٨/١٤. والسراج المنير للشربيني ١٣/٣. وقد أشار إلى هذين الجانبين النفسيَين معا- د/فضل حسن عباس في كتابه البلاغة فنونها وأفنانها صـــ١٢٤.

ومثال ذلك قول فرعون عن موسى (عليه السلام): ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾[1].

إذ الواضح من الآية كيف كان فرعون يهدف إلى زعزعة ثقة أهل الحق أو الإيمان بإيمانهم؟!

قال الخطيبُ الشربيني: زادهم شكاً بقوله- مؤكداً؛ لأجل رفع ما استقرّ في الأنفس من صدق موسى (عليه السلام): ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ﴾ أي: موسى (عليه السلام) ﴿مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ أي: دأبه ذلك، وفرعونُ هو الذي قد لَبَّسَ وكَذَبَ ووَصَفَ أَصْدَقَ أهلِ ذلك الزمان بصفة نفسه الغريقة في العدوان[2].

(١) سورة القصص ٢٨ من الآية ٣٨.

(٢) السراج المنير ١٠١/٣. وينظر نظم الدرر للبقاعي ٢٩٦/١٤.

المبحث التاسع

الجوانب النفسية في شخصية قوم موسى (عليه السلام)

ويشتمل على خمسة مطالب:

- المطلب الأول: جانب سوء الطوية عند قوم موسى (عليه السلام).
- المطلب الثاني: جانب الطفولة الفكرية عند فريق من قوم موسى (عليه السلام).
- المطلب الثالث: جانب التقاعس عند قوم موسى (عليه السلام).
- المطلب الرابع: جانب تَفَرُّق القلوب عند قوم موسى (عليه السلام).
- المطلب الخامس: جانب التمهيد النفسي أو اختبار نفسية الآخرين.

المطلب الأول

جانب سوء الطَّوِيَّة عند قوم موسى (عليه السلام)

تأتي مادة الطَوِيَّة بمعنى النية والمقصد والضمير، يقال: "طوَى الثوبَ ونحوَه طيًّا، ومضى لطِيَّته أي: لوجهه الذي يريده ولنِيَّتِه التي انتواها، والطَّوِيَّة: الضمير"(١).

وكان هذا واضحا في شخصية قوم موسى (عليه السلام)، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾(٢).

---

(١) لسان العرب لابن منظور ٢٠/١٥، مادة: طوى. والكليات للكفوي صـ٥٨٥، فصل الطاء. بتصرف.

(٢) سورة البقرة ٢، الآيات ٦٧: ٧٣.

وتأويل الآيات على التقديم والتأخير عند الجمهور[1]: وإذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها، فسألتم موسى فقال لكم: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة، ثم اضربوا القتيل ببعضها إلخ.

حيث إن القتل وقع في الحقيقة أولا، ثم أُمِروا بعد ذلك بذبح البقرة ثانيا، وقد كان ينبغي أن يتقدّم ذكر تلك الجريمة عليه؛ لأنه إنما أمر بذبح البقرة؛ لينكشف أمر القاتل.

وإنما خالف الترتيبَ عند الحكاية، فقدم ذكر المسبب وهو الأمر بذبح البقرة على ذكر السبب وهو حادثة القتل؛ لجوانب نفسية عدة، من أبرزها:

١- الكشف عن سوء طوية قوم موسى[2]، فالعرب تقدم ما بهم أعنى وما هو لديهم أهم[3]، إضافة إلى تصوير كمال قبح حال قوم موسى بتعدد وقوع الجنايات منهم، وكل جناية جديرة بأن تُنْعَى عليهم.

قال أبو السعود: إن تغييرَ الترتيبِ؛ للدِلالة على كمال سوءِ حالِ اليهودِ، بتعديد جناياتِهم المتنوعةِ وتثنية التقريعِ عليهم بكل جناية على حدة، فقوله تعالى:

---

(١) اختلف المفسرون هل الأحداث المذكورة في الآيات مرتبة على نسق التلاوة أم لا؟ على قولين: المشهور وهو قول الجمهور كابن جزي وابن عادل والقرطبي- مخالفة الترتيب في أحداث القصة، فقدم ما حقه التأخير، وهو كثير في القرآن وكلام العرب، ونسبه للجمهور النسفيُّ. بينما ذهب أبو حيان إلى أن الكلام ظاهره على ترتيب التلاوة، حيث إن التقديم والتأخير من الضرائر، فينبغي أن ينزه القرآن عنه، بأن الله أمرهم بذبح البقرة، ثم وقع القتل فأمروا بضرب بعضها. مدارك التأويل للنسفي ٩٧/١. والتسهيل لابن جزي ٧٠/١. والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٥٥/١. والبحر المحيط لأبي حيان ٤٢٤/١. وملاك التأويل لابن الزبير ٨٦٧/٢. واللباب لابن عادل ١٧٨/٢. وروح المعاني للآلوسي ٢٨٥/١. بتصرف.

(٢) الفصل والوصل في القرآن الكريم لمنير سلطان صـــ١٢٨ بتصرف.

(٣) قال سيبويه في الكتاب ٣٤/١: كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهمانِهم ويَعْنِيانهم.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ إلخ؛ لتقريعهم على الاستهزاء وتركِ المسارعةِ إلى الامتثال وما يتبع ذلك. وقولُه تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ إلخ؛ للتقريع على قتل النفسِ المحرمةِ وما يتبعه من الأمور العظيمةِ؛ ولو قُصَّت القصة على ترتيبها- في الواقع- لفات الغرضُ الذي هو تثنيةُ التقريعِ ولظُن أن المجموعَ تقريعٌ واحدٌ[1].

وقد أفاد أبو السعود هذا الجانب النفسي- من صاحب الكشاف حيث قال: وإنما قُدّمت قصة الأمر بذبح البقرة على قصة ذكر القتيل؛ لأنه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة[2]، ==

(١) إرشاد العقل السليم ٥٣/٣ بتصرف.

(٢) أي أن قصة البقرة، وقصة القتيل قصتان متصلتان عند الزمخشري، وأن الضمير المؤنث في قوله: ﴿ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ يعود إلى بعض البقرة، أي يُضْرَبُ القتيل ببعض أجزاء البقرة، فيحيا ويخبر عمن قتله. وقد تابعه على رأيه- الشيخُ عبد الوهاب النجار والشيخُ محمد أبو زهرة، غير أن القصتين منفصلتان، والضمير المؤنث في قوله: ﴿ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ يعود إلى جثة القتيل، أي: فاضربوا المتهم ببعض جثة المقتول فإن ذلك يحمله على الاعتراف، وإذا قام الاعتراف فقد قام الدليل الموجب للقصاص، وبذلك القصاص يحي الله تعالى من مات بالقصاص له. بينما ذهب الجمهور، ومنهم أبو السعود وصاحب المنار وغيرهما- إلى أنهما قصة واحدة، وعليه فالضمير المؤنث في قوله: ﴿ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ يعود إلى البقرة كما عند الزمخشري. يقول الدكتور فضل عباس تعقيبًا على هذين الرأيين: وسواءٌ أكنتُ أنا وأنت أيها القارئ الكريم مع الجمهور فيما ذهبوا إليه، أم مع الفضلاء أصحاب الرأي الآخر- فليس في الأمر حرج، وكتابُ الله تبارك وتعالى يتسع للفكر البشري إذا تهيأ للناظر حُسْنُ النية، والعلمُ وصفاءُ القريحة، ويقيني أن هذه الثلاثة أعني حُسْنَ النية والعلمَ وصفاءَ القريحة، هي مما أكرم الله به أئمتنا قديمًا وحديثًا، فجزى الله الجميع عن كتابه ودينه ونبيه خير الجزاء. تفسير المنار لرشيد رضا ٣٤٥/١-٣٥٠. وقصص الأنبياء للنجار ٢٦٠/٢-٢٦٣. وقصص=

==ولذهب الغرض في تثنية التقريع[١].

٢- اختبار مدى الإيمان في نفوس القوم عن طريق الطاعة والاستجابة؛ "ذلك أن الحكمة البالغة تظهر في تكليفهم أولاً ذبح بقرة هل يمتثلون ذلك أم لا؟ وامتثال التكاليف التي لا يظهر فيها ببادئ الرأي حكمةٌ- أعظم من امتثال ما تظهر فيه حكمة؛ لأنها طواعية صرف، وعبودية محضة، واستسلام خالص، بخلاف ما تظهر له حكمة، فإن في العقل داعيةً إلى امتثاله، وحضاً على العمل به"[٢].

قال الشيخ الشعراوي (رحمه الله): المفروض في كل الأمور أن الأمر تسبقه علته، بخلاف هذه الآية، فلم يأت بالعلة أو السبب أولاً، وفي ذلك اختبار لإيمان بني إسرائيل؛ لأن الإيمان يجعل المؤمن يتلقى الأمر من الله طائعاً[٣].

هذا على اعتبار مخالفة الترتيب في أحداث القصة القرآنية، أما على اعتبار أن الآيات على ترتيب تلاوتها- فيصح أن يضاف إلى ما سبق جانب نفسي آخر- هو بيان أثر رؤية المقتول في نفس القاتل؛ حيث إن القاتل إذا ذُكِّرَ بشيء من الجريمة- ظهر عليه انفعال نفسي، ويُسرع نبضه، ويُحس بعظيم جرم ما ارتكب، فيُعْلَمُ بذلك أنه القاتل دون سواه، أو هو على اتصال به، وربما حمله ذلك على الاعتراف، وهذا أمر ثابت في الدراسات النفسية والاجتماعية.

قال الشيخ عبد الوهاب النجار: إنهما قصتان منفصلتان سيقتا لغرضين مختلفين: أما الأولى فهي قصة البقرة، وهي قائمة بذاتها سيقت؛ لبيان مدى المراوغة في الامتثال والطاعة في نفوس بني إسرائيل. والثانية وهي قصة

=القرآن الكريم لفضل حسن عباس صـ٥٨٦. وزهرة التفاسير للشيخ محمد أبو زُهرة ٢٦٩/١-٢٧٣.

(١) الكشاف للزمخشري ٢٨٦/١ بتصرف.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ٤٢٣/١.

(٣) تفسير الشعراوي ٣٨٨/١-٣٩٠ بتصرف.

القتيل سيقت؛ لبيان أثر رؤية المقتول في نفس القاتل، وتأثره بذلك، وأنه يحمله على الاعتراف بالجريمة عندما يرى المقتول ويمس جسده[1]، والله أعلم.

المطلب الثاني

جانب الطفولة الفكرية عند فريق من قوم موسى (عليه السلام)

الطفولة الفكرية هي: "أن يفكر البالغ بعقلية الأطفال حينما يطلبون من آبائهم شراء لعبة مثل أقرانهم، لا لشيء إلا للشعور بالغيرة، أو حبِّ التقليد ومحاكاة الآخرين"[2].

من ذلك قول بعض بني إسرائيل لموسى عليه السلام: ﴿ **يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨** ﴾[3].

"فهذا الموقف منهم أطلق عليه بعض المفكرين المعاصرين: الطفولة الفكرية، مما جعلتهم يتوجهون إلى موسى (عليه السلام) بأسلوب التمني أو الضغط عليه؛ كي يجعل لهم صنماً يتخذونه إلهاً كما لهؤلاء القوم أصنام يتخذونها آلهة، فربما لم يشاهد قوم موسى الأصنام الحجرية في بلادهم، حتى إذا ما شاهدوها شوقتهم لأن يكون لديهم إله يلمسونه ويرونه في لعبة عبادية" [4].

ولعل الأقرب في تفسير موقفهم هذا أنهم كانوا حديثي عهد بالوثنية مع قوم فرعون.

وهذا مشهد آخر لموسى (عليه السلام) مع قومه يؤكد على طفولتهم الفكرية، وذلك بإعلانهم رفض الإيمان حتى يروا الله جهرة، قال تعالى عن بعض بني

(١) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ٢/٢٦٠-٢٦٣ بتصرف.
(٢) الحوار في القرآن لفضل الله صـ٢٨٧ بتصرف.
(٣) سورة الأعراف ٧ الآيتان ١٣٨، ١٣٩.
(٤) الحوار في القرآن لفضل الله صـ٢٨٨ بتصرف.

إسرائيل[1]: ﴿وَإِذ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾[2].

المطلب الثالث

جانب التقاعس عند قوم موسى (عليه السلام)

تأتي مادة التقاعس بمعنى التأخر والرجوع إلى الخلف وعدم الانقياد، يقال: "تَقَاعَسَ الرجلُ عن الأمر: تَأَخَّرَ ولم يتقدم فيه، وتقاعسَ الفرسُ: لم يَنْقَدْ لقائده"[3].

وقد كان هذا واضحا في شخصية قوم موسى (عليه السلام)، من خلال مواقف عديدة، منها: قوله تعالى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾[4].

حيث يبرز جانباً نفسيًا عند بني إسرائيل هو: التقاعس تجاه تعاليم الرسالة الإلهية، لما أمر اللّه بني إسرائيل بعد خروجهم من مصر أن يدخلوا الأرض

(١) المراد بهؤلاء القائلين- محل خلاف بين المفسرين، والجمهور- كابن عطية والإيجي والشربيني وغيرهم- على أن المراد بهم السبعون الذين اختارهم موسى لميقات ربه، حيث لم يحك كثير من المفسرين سواه، بينما ذهب بعض المفسرين- كابن الجوزي والآلوسي وغيرهما- إلى احتمال كونهم بني إسرائيل عامة إلا من عصم الله. المحرر الوجيز لابن عطية ١٤٦/١. وزاد المسير لابن الجوزي ٨٣/١. وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٤٠٥/١، ٤٠٦. وجامع البيان للإيجي ٤٩/١. والسراج المنير للشربيني ٦١/١. وروح المعاني للآلوسي ٢٦١/١. ومحاسن التأويل للقاسمي ١٢٨/٢. بتصرف. وخلاصة القولين أن القائلين من قوم موسى (عليه السلام).

(٢) سورة البقرة ٢ الآية ٥٥.

(٣) تاج العروس للزبيدي ٣٨٢/١٦ بتصرف، مادة: قعس.

(٤) سورة المائدة ٥ من الآية ٢٤.

المقدسة[1]، ويُخْرِجُوا منها العمالقة الجبارين الذين كانوا يَسكنونها، فتقاعس بنو إسرائيل ونكصوا عنها بكل غلظة وفظاظة، وكأن ربَّ موسى (عليه السلام) ليس بربهم إذا كانت ربوبيتُه ستكلفهم القتالَ.

وعلى العكس من ذلك موقفُ الصحابة (رضي الله عنهم) تجاه نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، فعن المقداد بن الأسود (رضي الله عنه) أنه قال للرسول (صلى الله عليه وسلم) يوم بدر: «يَا رَسُولَ الله، إِنَّا لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿**فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ**﴾، وَلَكِنِ امْضِ وَنَحْنُ مَعَكَ»[2].

---

(١) اختلف المفسرون في المراد بالأرض المقدسة على ثلاثة أقوال: الأول: أنها بيت المقدس، وذهب إليه أكثر المفسرين كالنحاس والزمخشري وغيرهما. والثاني: أن المراد بها الطور وما حوله، وذهب إليه مجاهد والخازن وغيرهما. الثالث: أنها الشام كلها، وذهب إليه قتادة ويحيى بن سلّام وغيرهما. وأصح الأقوال وأولاها ما نحا إليه ابن جرير الطبري إذ قال: وأولى الأقوال عندي بالصواب أن يقال: هي الأرض المقدّسة، كما قال نبي الله موسى (عليه السلام)؛ لأن القول بأنها أرض دون أرض، لا تُدرك حقيقةُ صحته إلا بالخبر، ولا خبر بذلك يجوز قطع الشهادة به، غير أنها لن تخرج عن أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر؛ لإجماع جميع أهل التأويل والسِّير والعلماء بالأخبار على ذلك أهـ أي أنها تشمل سيناء والشامات كلها بما فيها فلسطين والأردن ولبنان، والله أعلم. التصاريف لابن سلَّام صـ٣١٤. وتفسير مجاهد صـ٣٠٥. وجامع البيان للطبري ١٦٧/١٠، ١٦٨. وإعراب القرآن للنحاس ١٤/٢. والكشاف للزمخشري ٢٢١/٢. ولباب التأويل للخازن ٤٨٠/١. وزهرة التفاسير لأبي زهرة ٢١١١/٤. بتصرف.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، تفسير القرآن قوله: ﴿**فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ**﴾، ٥١/٦.

المطلب الرابع
جانب تفرُّقِ القلوب عند قوم موسى (عليه السلام)

الفَرْقُ خلافُ الجمع، فيقال: فَرَقَ بين الأمرين كما يقال: جَمَعَ بين الأمرين. والتفريقُ أصله للتكثير، ويقال ذلك في تشتيت الشَّمْل والكلمة نحو: ﴿**فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ**﴾[1]، سواء أكان ذلك بتفرق يدركه البصر أم تدركه البصيرة[2].

وكان هذا واضحا في شخصية قوم موسى (عليه السلام)، من خلال مواقف عديدة، منها: قوله تعالى- على لسان فرعون حينما أسرى موسى بقومه-: ﴿**إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ**﴾[3].

فالشرذمة: هي طائفة أو قطعة من الناس، وهم أصحاب النبي موسى (عليه السلام).

قال الفيومي: الشرذمة الجمع القليل من الناس، وقد يُستَعْمَلُ في الجمع الكثير إذا كان قليلا بالإضافة إلى من هو أكثر منهم، وفي التنزيل: ﴿**إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ**﴾... والشرذمة القطعة من الشيء[4].

يعني أن أتباع موسى (عليه السلام) كانوا كثيرين، فجُعِلُوا قليلين بالنسبة إلى أتباع فرعون.

---

(١) سورة طه من الآية ٩٤.

(٢) المفردات للراغب صـ٣٧٧، ٣٧٨، مادة: فرق. والفروق اللغوية للعسكري صـ١٥١. بتصرف.

(٣) سورة الشعراء ٢٦ الآية ٥٤.

(٤) المصباح المنير ٣٠٧/١، ٣٠٨.

والتعبير بهذه المفردة القرآنية يشير إلى جانب نفسي عند قوم موسى هو: تَفَرُّقُ القلوب وتقطعها حول الكليم موسى (عليه السلام)، فلم يكونوا جميعا على قلب رجل واحد، مصداقا لقول الله تعالى: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾[1].

قال البقاعي: ولما كان مدار مادة "شَرَذَمَ" على التقطع- فكان في التعبير بها إشارةٌ إلى أنهم مع القلة متفرقون ليسوا على قلب واحد[2].

المطلب الخامس
جانب التمهيد النفسي أو اختبار نفسية الآخرين

يعد الحوار من وسائل القرآن الكريم؛ لأجل التمهيد النفسي واختبار نفسية الآخرين وردود أفعالهم، والتعامل معهم على ضوء معطياتهم الأولية.

ومثال ذلك: ما فعله فرعون مع قومه، حيث كان يرى ردود الأفعال، ثم يطرح ما يتبع من أفكار، حتى استطاع أن يتدرج معهم في الحوار، بحيث يتقبلون فكرة أن يكون إلههَم الذي لابد أن يعبدوه.

قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [3]؟

فقد نادى فرعون في قومه مشيراً إلى ملكه مصر وهذه الأنهار تجري من تحته إلخ. وهذا أمر قريب مشهود للجماهير، لذا لم يعترضوا، فكان بمثابة الإقرار.

---

(١) سورة الحشر ٥٩ من الآية ١٤.

(٢) نظم الدرر ٣٩/١٤.

(٣) سورة الزخرف ٤٣ الآية ٥١.

ثم عقد فرعونُ الموازنة بينه وبين موسى قال: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾(١).

أي: "فقير محتقر، وبلسانه حبسة أو لكنة"(٢). وهذا استغلال لِمَا كان معروفا عن موسى قبل خروجه من مصر من حبسة اللسان، وإلا فقد استجاب اللّه سؤاله فيما بعد، وحلت عقدة لسانه فعلا، وعاد يُبِيْنُ.

ثم اقترح فرعونُ على قومه قائلا: ﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾(٣). أي: " لو كان موسى صادقا فهلا ألقيت عليه أسورة من ذهب أو جاءت معه الملائكة مصدقة له؟ ولكن شيئا من ذلك لم يكن. وهكذا استخف فرعون قومه، فلعب بعقولهم، وهذا شأن كل رعية بعيدة عن الله، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾(٤)،(٥).

ولذلك لم يعترضوا على مقولته تلك، فكان هذا منهم بمثابة القبول والتسليم.

ثم علت نبرة فرعون، وأعلن لأول مرة إلهيتَه لملئه، معتمداً على مبدأ الاستخفاف أيضاً فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى ۖ فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾(٦).

---

(١) السورة السابقة الآية ٥٢.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٢١٩/٢٧ بتصرف.

(٣) سورة الزخرف ٤٣ الآية ٥٣.

(٤) سورة الزخرف ٤٣ الآية ٥٤.

(٥) أنوار التنزيل للبيضاوي ٩٣/٥. وقصص القرآن الكريم لفضل حسن عباس صـ ٥٤٨، ٥٤٩. بتصرف.

(٦) سورة القصص ٢٨ من الآية ٣٨.

"ففرعون يؤكد لملئه أنه ليس هناك إله غيره، ومع ذلك يريد بناء صرح فخم في السماء؛ ليصفي الحساب مع إله موسى، مع تصريحه بأن موسى من الكاذبين، فلو كانت هناك مسحة عقل عند رعيته وذرة شجاعة وجرأة لقالوا له: لِمَ نجهد أنفسنا بالبناء ما دمت على يقين أن ليس هناك إله غيرُك؟ بل كانوا يؤمِّنون على قوله؛ مجاراة له ومجاملة ينالون بها الحظوة عنده، وإن كان في نفوسهم كاذباً"(١).

ثم ازداد فرعونُ طغياناً، وقال قولته الأخيرة الموجزة جهرةً: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾(٢).

فلا شك أن الحوار له دوره في الكشف عن نفسية الآخرين، ومدى تقبلهم لما يلقى من أفكار.

(١) قصص الأنبياء للنجار صـــ١٨٥، ١٨٦. وقصص القرآن الكريم لفضل حسن عباس صـــ ٥٣٦. بتصرف.

(٢) سورة النازعات ٧٩ من الآية ٢٤.

الخاتمة

الحمد لله حمدًا طيبًا مباركاً فيه، ملئ السماوات والأرض، وملئ ما بينهما، وملئ ما شاء من شيء بعد، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد،، فبتمام البحث تم الوقوف على بعض النتائج والمقترحات:

أولا: النتائج، ومنها:

١- الشخصيات التي تقدمها القصة القرآنية كافية لدراسة الجوانب النفسية للذات الإنسانية.

٢- يعتبر القرآن الكريم أصدق صورة لرسم ملامح النفس البشرية؛ فما من نفس بشرية لم تذكر في القرآن إلا ولها في القرآن الكريم شبه ونظير.

٣- إذا كان للحرف أو الكلمة نصيبهما في توضيح الجانب النفسي في الشخصية القرآنية- فإن حظ الجملة أوفر في إجلاء الجوانب النفسية وما فيها من أسرار إعجازية بيانية.

٤- عُنِي المفسرون القدامى كالزمخشري وأبي السعود والآلوسي بإبراز بعض الجوانب النفسية.

٥- تجب الرَوِيَّة ويتعين الحذر عند إصدار الأحكام على أنماط السلوك، سواء الدالة على الإيجابية أم السلبية.

٦- حضور المرأة في قصة موسى (عليه السلام) حضوراً مكثفاً بصور متعددة: الأم، والأخت، وامرأة فرعون، وابنتا الشيخ الكبير، وكل واحدة منهنَّ كان لها دور مهم في نجاته من المخاطر التي كانت تحيط به.

ثانيا: المقترحات:

أن هناك شخصيات قرآنية كثيرة، تحتاج إلى دراسة تفسيرية من أجل الكشف عن جوانبها النفسية، مثل: قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين، وقصة ذي القرنين، وغيرها من القصص القرآني.

وذلك أن قصة النفس الإنسانية من خلقها إلى رجوعها إلى ربها- قصةٌ متسلسلة متشعبة، وقد أتى القرآن الكريم على فصول هذه القصة، وعالج حالات النفس الإنسانية: خلقًا وتكوينًا، ومسارَ حياة، ومالا بعد الموت. ومن عجيب الأمر أن كثيرًا من العلماء يبحثون عن معرفة النفس الإنسانية في غير كتاب الله، فلا يجدونها.

المصادر والمراجع

١ـ القرآن الكريم.

كتب العقيدة

١- إيمان فرعون، للإمام جلال الدين الدوّاني، والرد عليه المسمى "فر العون من مدعي إيمان فرعون"، للعلامة/ علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: محمد محمد عبد اللطيف ابن الخطيب، المطبعة المصرية ــ سنة ١٩٢٤م.

٢- دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي، دار المعرفة- بيروت/ لبنان، طـــ٣، سنة ١٩٧١م.

٣- الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، د/ محمد عبد الله دراز، المتوفى ١٩٥٨م، دار القلم.

٤- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي شمس الدين ابن قيم الجوزية، المتوفى: ٧٥١هـــ، الناشر: دار المعرفة- بيروت/ لبنان، سنة ١٣٩٨هـــ - ١٩٧٨م.

٥- فصوص الحكم، تأليف: محي الدين بن عربي، المتوفى ٦٣٨هـــ، علق عليه: أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي- بيروت/ لبنان.

٦- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١هـــ، المحقق: رضوان جامع رضوان، مؤسسة المختار-القاهرة، طـــ١، سنة ١٤٢٢هـــ - ٢٠٠١م.

٨- معارج القدس في مدراج معرفة النفس، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى: ٥٠٥هـــ، دار الآفاق الجديدة - بيروت، طـــ٢، ١٩٧٥.

٩- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، تأليف: د/ جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني- بيروت/ لبنان، ومكتبة المدرسة- بيروت/ لبنان، طـــ سنة ١٩٨٢م.

كتب التفسير وعلوم القرآن

١- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، دار النشر: مجمع الملك فهد- السعودية، طـ١.

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، تأليف: قاضي القضاة أبي السعود بن محمد العمادي الحنفي المتوفى سنة٩٨٢هـ، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مكتبة الرياض الحديثة- الرياض، ومطبعة السعادة- ميدان أحمد ماهر.

٣- أسلوب الحوار في القرآن الكريم "خصائصه الإعجازية وأسراره النفسية"، تأليف: د/عبد الله الجيوسي، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، العدد: ٢، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

٤- إعجاز القرآن، تأليف: أ. د/ فضل حسن عباس، جامعة القدس المفتوحة- عمان/ طـ٢، سنة ١٩٩٧م.

٥- إعراب القرآن، تأليف: أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس المتوفى سنة ٣٣٨ هـ، تحقيق: د/زهير غازي زاهد، دار عالم الكتب- بيروت، طـ٢، سنة ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٦- إعراب القرآن العظيم، المؤلف: شيخ الإسلام / أبو يحيى زكريا الأنصاري، المتوفى ٩٢٦هـ، حققه وعلق عليه: د/ موسى على موسى مسعود، وإشراف: أد/ محمد علي حسنين صبرة، رسالة ما جستير، جامعة القاهرة- كلية دار العلوم، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٧- إعراب القراءات الشواذ لأبي البقاء العكبري المتوفى سنة ٦١٦هـ، دراسة وتحقيق: محمد السيد أحمد عزوز، عالم الكتب- بيروت/ لبنان، طـ١، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٨- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال، للإمام ناصر الدين أحمد بن محمد بن المنير الإسكندري المتوفى سنة ٦٨٣هـ، دار الفكر- بيروت/ لبنان، طـ سنة ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

٩- أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي، المتوفى: ٦٦٦هـ، تحقيق: د/ عبد الرحمن بن إبراهيم المطرودي، الناشر: دار عالم الكتب - السعودية /الرياض، طـ١، سنة ١٤١٣ هـ- ١٩٩١م.
١٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تأليف: أبي الخير عبد الله بن عمر البيضاوي المتوفى ٦٩١هـ، إعداد وتقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ- بيروت/ لبنان.
١١- بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد السمرقندي المتوفى سنة ٣٧٥هـ، تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض، والشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والدكتور/ زكريا عبد الحميد النوتي، دار الكتب العلمية- بيروت/لبنان، طـ١، سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٢- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ، دراسة وتحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، وشارك في تحقيقه: د/ زكريا عبد المجيد، د/ أحمد النجولي الجمل، وقرظه: د/ عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، طـ١، سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٣- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة، المتوفى سنة ١٢٢٤هـ، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور/ حسن عباس زكي- القاهرة، سنة ١٤١٩ هـ، وتنتهي هذه الطبعة بآخر سورة القمر. ومن أول سورة الرحمن إلى آخر التفسير موافق لـ ط دار الكتب العلمية - بيروت، طـ٢، سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
١٤- البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، المؤلف: محمود بن حمزة، أبو القاسم الكرماني، المتوفى: نحو ٥٠٥هـ، المحقق:

عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار النشر: دار الفضيلة.

١٥- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، ش الجمهورية- بالقاهرة، ط٣، سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

١٦- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة ٨١٧هـ، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، دار الكتب العلمية-بيروت/لبنان.

١٧- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، تأليف: دكتور/ محمد حسنين أبو موسى، دار الفكر العربي.

١٨- تأويل مشكل القرآن لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، دار التراث- القاهرة، ط٢، سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

١٩- تأويلات أهل السنة، تأليف: أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي المتوفى سنة ٣٣٣هـ، تحقيق: فاطمة يوسف الخيمي، مؤسسة الرسالة- بيروت/لبنان، ط١، سنة ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٢٠- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، المؤلف: أ. د/فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الناشر: إدارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والإرشاد- السعودية، ط١، سنة ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٢١- التحرير والتنوير، تأليف: الشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون- تونس.

٢٢- التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: محمد بن أحمد بن جُزَيّ الغرناطي، المتوفى سنة ٧٤١هـ، ضبطه وصححه وخرج آياته: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية/بيروت- لبنان، ط١، سنة ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

٢٣- التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، المؤلف: يحيى بن سلام المتوفى: ٢٠٠هـ، قدمت له وحققته: هند شلبي، الناشر: الشركة التونسية، عام النشر: ١٩٧٩م.
٢٤- التضمين النحوي في القرآن الكريم، المؤلف: د/ محمد نديم فاضل، دار الزمان- المدينة المنورة/ السعودية، طـ١، سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٥- التعبير القرآني، تأليف: د/فاضل صالح السامرائي، دار عمار- عمان، طـ٤، سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٢٦- التعبير القرآني والدلالة النفسية، تأليف: د/عبد الله محمد الجيوسي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، طـ١، سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
٢٧- تفسير الإمام مجاهد بن جبر المتوفى سنة ١٠٢هـ، تحقيق: د/محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي- مدينة نصر، طـ١، سنة ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
٢٨- تفسير الشعراوي، طبعة أخبار اليوم، راجع أصوله وخرج أحاديثه: أ.د/ أحمد عمر هاشم.
٢٩- تفسير القرآن، المؤلف: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء المتوفى: ٦٦٠هـ، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم - بيروت، ط١، سنة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
٣٠- تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد رضا المتوفى سنة ١٣٥٤هـ، دار المنار- القاهرة، طـ٢، سنة ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.
٣١- تفسير القرآن العزيز، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عبد الله، المعروف بابن أبي زَمَنِين، المتوفى: ٣٩٩هـ، المحقق: حسين عكاشة، ومحمد مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة - مصر/ القاهرة، طـ١، سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٣٢- تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله والصحابة والتابعين، تأليف: ابن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة ٣٢٧هـ، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نَزار مصطفى الباز، ومكة المكرمة- الرياض، طـ سنة ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٣٣- تفسير القرآن العظيم لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ، تحقيق: مصطفى محمد السيد، ومحمد فضل العجماوي، ومحمد السيد رشاد، وعلي أحمد عبد الباقي، وحسن عباس قطب، مؤسسة قرطبة، ومكتبة أولاد الشيخ للتراث- الجيزة، دار الفاروق الحديثية للطباعة والنشر- القاهرة، طـ١، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣٤- التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب المتوفى بعد ١٣٩٠هـ، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة.

٣٥- التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، تأليف: أبي عبد الله محمد بن عمر الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، المتوفى سنة ٦٠٦هـ، دار الفكر-بيروت، طـ١، سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

٣٦- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: د/محمد سيد طنطاوي المتوفى سنة ١٤٣١هـ، دار نهضة مصر / الفجالة - القاهرة، طـ١.

٣٧- جامع البيان عن تأويل القرآن، تأليف: أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ، حققه وعلق حواشيه: محمود محمد شاكر، راجعه وخرج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، طـ٢، سنة ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

٣٨- جامع البيان في تفسير القرآن تأليف/ محمد بن عبد الرحمن الإيجي المتوفى سنة ٩٠٥هـ، ومعه حاشية محمد بن عبد الله الغزنوي المتوفى ١٢٩٦هـ، تحقيق: د/عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية-بيرت/لبنان، طـ١، سنة ٢٠٠٤م-١٤٢٤هـ.

٣٩- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد شمس الدين القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة.
٤٠- جماليات المفردة القرآنية، تأليف: د/أحمد ياسوف، رسالة ماجستير، إشراف وتقديم: د/نور الدين عتر، دار المكتبي- سوريا/دمشق، طـ٢، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٤١- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الثعالبي المتوفى سنة ٨٧٥هـ، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العرب- بيروت، طـ١، سنة ١٤١٨ هـ.
٤٢- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: محمد الأمين بن عبد الله الأُرَمِي العلوي الهَرَري الشافعي، إشراف ومراجعة: د/هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة/ بيروت- لبنان، طـ١، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
٤٣- الحوار في القرآن "قواعده، أساليبه، معطياته"، تأليف: محمد حسين فضل الله، دار الملاك- بيروت/ لبنان، طـ٥، سنة ١٩٩٦م- ١٤١٧هـ.
٤٤- خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، رسالة دكتوراه، المؤلف: عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني المتوفى: ١٤٢٩هـ، الناشر: مكتبة وهبة، طـ١، سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٤٥- دراسات لأسلوب القرآن الكريم، المؤلف: محمد عبد الخالق عضيمة المتوفى سنة ١٤٠٤هـ، تصدير: محمود محمد شاكر، الناشر: دار الحديث، القاهرة.
٤٦- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تأليف: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٦هـ، تحقيق: د/ أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق.

٤٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق: د/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية- القاهرة، ط١، سنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٤٨- روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي المتوفى: ٧٩٥هـ، جمع وترتيب: طارق عوض الله، الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، ط١، سنة ١٤٢٢هـ-٢٠٠١ م.

٤٩- روح البيان، المؤلف: إسماعيل حقي، المتوفى سنة ١١٢٧هـ، دار الفكر- بيروت.

٥٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تأليف: أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ، دار إحياء التراث العربي- بيروت/ لبنان.

٥١- رياضة اللسان شرح تلخيص لآلئ البيان في تجويد القرآن، للعلامة السمنودي، تأليف: الشيخ/ سعيد يوسف السمنودي، مدرس القراءات بالأزهر، مكتبة السنة- القاهرة، ط١، سنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م.

٥٢- زاد المسير في علم التفسير، تأليف: عبد الرحمن بن علي الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، ط٣، سنة ١٤٠٤هـ، المكتب الإسلامي- بيروت.

٥٣- زَهْرة التفاسير، المؤلف: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زَهْرة المتوفى سنة ١٣٩٤هـ، دار الفكر العربي- مصر.

٥٤- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، تأليف: الشيخ الإمام الخطيب الشربيني المتوفى سنة ٩٧٧هـ، مطبعة بولاق- مصر، سنة ١٨٨١م.

٥٥- شواذ القراءات، تأليف: رضي الدين شمس القراء أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني المتوفى سنة ٥٣٥هـ، تحقيق: د/ شمران العجلي، مؤسسة البلاغ- بيروت/ لبنان.
٥٦- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المؤلف: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفى: ٧٥٦ هـ، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، طـ١، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
٥٧- عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي، تأليف: الشهاب الخفاجي المتوفى سنة ١٠٩٦هـ، دار صادر- بيروت.
٥٨- غرائب التفسير وعجائب التأويل، تأليف: تاج القراء محمود بن حمزة الكرماني المتوفى سنة ٥٠٥هـ، تحقيق: شمران سركال يونس العجلي، دار القبلة للثقافة الإسلامية- جدة، ومؤسسة علوم القرآن- بيروت.
٥٩- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تأليف: نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري المتوفى سنة ٨٥٠هـ، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، طـ١، سنة ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
٦٠- الفاصلة في القرآن، تأليف: محمد الحسناوي، دار عمار- عمان، طـ٢، سنة ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.
٦١- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القِنَّوجي المتوفى سنة ١٣٠٧هـ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة- صَيدَا / بَيروت، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٦٢- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، المؤلف: زكريا بن محمد الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، المتوفى: ٩٢٦هـ، المحقق: محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان، طـ١، سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٦٣- فتح الرحمن في تفسير القرآن، المؤلف: مجير الدين بن محمد العليمي المتوفى سنة ٩٢٧هـ، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، ط١، سنة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٦٤- فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، تأليف: شرف الدين الطيبي المتوفى سنة ٧٤٣هـ، المشرف العام على الإخراج العلمي للكتاب: د/ محمد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، سنة ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م.
٦٥- الفصل والوصل في القرآن الكريم، المؤلف: منير سلطان، الناشر: منشأة المعارف بالإسكندرية، ط٢.
٦٦- الفن القصصي في القرآن الكريم، تأليف: محمد أحمد خلف، مع شرح وتعليق: خليل عبد الكريم، الناشر: دار سينا- القاهرة، ط٤، سنة ١٩٩٩م.
٦٧- قصص القرآن الكريم، تأليف: د/فضل حسن عباس، دار النفائس- الأردن، ط٣، سنة ١٤٣٠هـ- ٢٠١٠م.
٦٨- القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، تأليف/عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة- بيروت/ لبنان، ط٢، سنة ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.
٦٩- الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، المؤلف: المنتجَب الهمذاني المتوفى: ٦٤٣ هـ، حقق نصوصه وخرجه وعلق عليه: محمد نظام الدين الفتيح، الناشر: دار الزمان- المدينة المنورة /السعودية، ط١، سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
٧٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للعلامة جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ، تحقيق وتعليق ودراسة: الشيخ/ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ/ علي محمد معوض، وشارك في تحقيقه: أ. د/ فتحي عبد الرحمن

أحمد حجازي، أستاذ البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، مكتبة العكيبان بالرياض، طـــ١، سنة ١٤١٨هـــ - ١٩٩٨م.

٧١- لباب التأويل في معاني التنزيل، تأليف: علي بن محمد الخازن، المتوفى سنة ٧٤١هـــ، وبهامشه مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تأليف: أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى سنة ٧٠١هـــ، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى ببغداد لصاحبها قاسم محمد الرجَب.

٧٢- اللباب في علوم الكتاب، تأليف: أبي حفص عمر بن عادل الحنبلي المتوفى سنة ٨٨٠هـــ، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض آخرون، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، طـــ١، سنة ١٤١٩هـــ - ١٩٩٨م.

٧٣- لطائف الإشارات، تأليف: أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة ٤٦٥هـــ، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية- بيروت/لبنان، طـــ٢، سنة ١٤٢٨هـــ - ٢٠٠٧م.

٧٤- لطائف قرآنية، تأليف: د/صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم- دمشق، طـــ١، سنة ١٤١٢هـــ - ١٩٩٢م.

٧٥- مباحث التفسير، المؤلف: أحمد بن محمد بن المظفر، أبو العباس الرازي المتوفى بعد ٦٣٠هـــ، دراسة وتحقيق: حاتم بن عابد بن عبد الله القرشي، الناشر: كنوز إشبيليا - المملكة العربية السعودية، طـــ١، ١٤٣٠هـــ - ٢٠٠٩م.

٧٦- مجاز القرآن، تأليف: أبي عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠هـــ، عارضه بأصوله وعلق عليه: د/ محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي- القاهرة.

٧٧- محاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين القاسمي، المتوفى سنة ١٣٣٢هـ، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة: عيسى البابي الحلبي وشركاه، طـ١، سنة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٧٨- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق وتعليق: الرحالة الفاروق، وعبد الله بن إبراهيم الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، ومحمد الشافعي الصادق العناني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية- قطر، طـ٢، سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٧٩- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- لبنان، طـ١، سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٨٠- مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠هـ، مكتبة المتنبي- القاهرة.

٨١- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تأليف: أبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي المتوفى سنة ٧١٠هـ، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، وراجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستوٍ، دار الكلم الطيب/ بيروت، طـ١، سنة ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨٢- معاني القرآن وإعرابه، تأليف: إبراهيم بن السري أبي إسحاق الزجاج المتوفى سنة ٣١١هـ، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب - بيروت، طـ١، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٨٣- المعجزة الكبرى "القرآن" تأليف: الشيخ/محمد أبو زهرة المتوفى: ١٣٩٤هـ، دار الفكر العربي.

٨٤- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ هـ، تحقيق وإعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز.

٨٥- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، المؤلف: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر المتوفى سنة ٧٠٨هـ، تحقيق: سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي- بيروت، طـ٢، سنة ١٤٢هـ - ٢٠٠٧م.
٨٦- مناهل العرفان في علوم القرآن، تأليف: محمد عبد العظيم الزرقاني المتوفى سنة ١٣٦٧هـ، تحقيق: فوَّاز أحمد زمَرلي، دار الكتاب العربي-بيروت، طـ١، سنة ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.
٨٧- من بلاغة القرآن، المؤلف: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي، المتوفى: ١٣٨٤هـ، الناشر: نهضة مصر – القاهرة، سنة ٢٠٠٥هـ.
٨٨- الموسوعة القرآنية المتخصصة، المؤلف: مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية- مصر، عام النشر: ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
٨٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تأليف: إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.
٩٠- النكت والعيون، تأليف: أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري المتوفى سنة ٤٥٩هـ، راجعه وعلق عليه: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار ١٠٥- الكتب العلمية-بيروت/لبنان، ومؤسسة الكتب الثقافية-بيروت/لبنان.

كتب الحديث وعلومه

١- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، تأليف: الإمام أبي العُلا محمد عبد الرحمن المباركفوري المتوفى سنة ١٣٥٣هـ، ضبطه وراجع أصوله وصححه: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر.

٢- الجامع الصحيح للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج المتوفى سنة ٢٦١هـ، دار الجيل- بيروت، طبعة مصورة من الطبعة التركية باستانبول، سنة ١٣٣٤هـ.

٣- الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي لأبي عيسى الترمذي المتوفى سنة ٢٧٩هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، طـ١، سنة ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م، طـ٢، سنة ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٤- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، تأليف: جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، طـ٢، سنة ٢٠٠٤م- ١٤٢٥هـ.

٥- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، تصنيف: أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، طـ١، سنة ١٤٢٢هـ، ومع الكتاب: شرح وتعليق د/ مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق.

٦- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني المتوفى: ٢٧٥هـ، المحقق: شعَيب الأرنؤوط - محَمَّد كامِل قره بللي، الناشر: دار الرسالة العالمية، طـ١، سنة ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٧- السنن الصغرى المسمى المجتبى من السنن، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى: ٣٠٣هـ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، طـ٢، سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٨- شعب الإيمان، تأليف: الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ، تحقيق: أبي هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، طـ١، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٩- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: محمود بن أحمد بدر الدين العيني، المتوفى: ٨٥٥هـ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
١٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ، إشراف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة- بيروت/ لبنان.
١١- فيض القدير شرح الجامع الصغير، للعلامة المناوي المتوفى سنة ١٠٣١هـ، دار المعرفة- بيروت/ لبنان، طـ٢، سنة ١٣٩١هـ- ١٩٧٢م.
١٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لأبي الحسن الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي- القاهرة، سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
١٣- مختصر استدراك الحافظ الذهبي على مستدرك أبي عبد الله الحاكم، تأليف: سراج الدين عمر بن علي المعروف بابن الملقن، المتوفى سنة ٨٠٤هـ، تحقيق ودراسة: عبد الله بن حمد اللحياني، وسعد بن عبد الله آل حَميد، دار العاصمة-الرياض، طـ١، سنة ١٤١١هـ.
١٤- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم المتوفى سنة ٤٠٥هـ، طبعة متضمنة انتقادات الذهبي لأبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعيّ، دار الحرمين- القاهرة، طـ١، سنة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
١٥- مسند أبي يعلى، المؤلف: أحمد بن علي أبو يعلى الموصلي، المتوفى: ٣٠٧ هـ، المحقق: حسين سليم أسد، الناشر: دار المأمون للتراث – جدة، الطبعة: الثانية، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.
١٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل المتوفى سنة ٢٤١هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، المشرف العام على إصدارها: د/ عبد

الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، طـ١، سنة ١٤٢٠هـ،١٩٩٩م.

١٧- المُصَنَّف، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ٢٣٥هـ، المحقق: محمد عوامة، الناشر: دار القبلة- السعودية، طـ١، سنة ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.

١٨- المعجم الكبير، تأليف: أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني المتوفى سنة٣٦٠هـ، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد المجيد، مكتبة ابن تيمية- القاهرة، ط٢، سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م.

١٩- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦ هـ، تحقيق: محمود محمد الطناحي، طاهر أحمد الزاوي مؤسسة التاريخ العربي دار إحياء التراث العربي- بيروت/ لبنان.

٢٠- نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، المؤلف: محمد بن علي بن الشوكاني المتوفى: ١٢٥٠هـ، تحقيق: محمد صبحي بن حلاق، دار ابن الجوزي- السعودية، طـ١، سنة ١٤٢٧هـ.

كتب اللغة والأدب

١- الإيضاح في علوم البلاغة للخطيب القزويني ٧٣٩ هـ، صنع حواشيه: إبراهيم شمس الدين - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ط ١، سنة ٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ.

٢- البديع في علم العربية، المؤلف: المبارك بن محمد، ابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦ هـ، تحقيق ودراسة: د/فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى/مكة المكرمة-السعودية، ط١، سنة ١٤٢٠هـ.

٣- البلاغة العربية، المؤلف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي المتوفى سنة ١٤٢٥هـ، ودار القلم- دمشق، والدار الشامية- بيروت، الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٤- البلاغة فنونها وأفنانها، تأليف: د/فضل حسن عباس، دار الفرقان- الأردن، طـ ٤، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
٥- تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية – الكويت.
٦- تحولات الأفعال في السياق القرآني وأثرها البلاغي، المؤلف: عبد الله علي عبد الله الهتاري، مجلة الدراسات الاجتماعية، جامعة العلوم والتكنولوجيا، العدد الثاني والعشرون، سنة ٢٠٠٦م.
٧- التذييل والتكميل في شرح التسهيل، تأليف: أبي حيان الأندلسي، حققه: د/ حسن هنداوي، دار القلم-دمشق، ط١، سنة ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٨- التعريفات للجرجاني ٨١٦ هـ، لبنان – بيروت، سنة ١٩٨٥م.
٩- تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، تأليف: محب الدين محمد بن يوسف المعروف بناظر الجيش المتوفى سنة ٧٧٨هـ، دراسة وتحقيق: أ. د/علي أحمد فاخر ومجموعة من المحققين، دار السلام، طـ١، سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.
١٠- التوقيف على مهمات التعاريف، لمحمد عبد الرؤوف المناوي سنة ١٠٣١هـ، الناشر: عالم الكتب- القاهرة، طـ١، سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١١- جمهرة اللغة، لابن دريد المتوفى سنة ٣٢١هـ، حققه وقدم له: د/رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين-بيروت/ لبنان، طـ١، سنة ١٩٨٧م.
١٢- حاشية الصبان المتوفى سنة ١٢٠٦هـ على شرح الأشموني المتوفى سنة ٩٠٠هـ على ألفية ابن مالك، ومعه شرح الشواهد للعيني المتوفى سنة ٨٥٥هـ، تحقيق: طه عبد الرؤف سعد، المكتبة التوفيقية بالحسين/ القاهرة.
١٣- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني المتوفى سنة ٣٩٢هـ، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

١٤- خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، تأليف: أ.د/ محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة- القاهرة، طـ٤، سنة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.
١٥- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧٤هـ، قرأه وعلق عليه: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي- القاهرة، طـ ٥، سنة ٢٠٠٤م.
١٦- ديوان طَرَفة بن العبد شرح الأعلم الشَّمَنتَري المتوفى سنة ٤٧٦هـ، وتليه طائفة من الشعر المنسوب إلى طَرَفة، تحقيق: دريّة الخطيب، ولطفي الصقّال، إدارة الثقافة والفنون-البحرين، والمؤسسة العربية-بيروت/لبنان، طـ٢، سنة ٢٠٠٠م.
١٧- الزمن واللغة، تأليف: د/ مالك يوسف المطلبي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة ١٩٨٦م.
١٨- شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو، للشيخ خالد الأزهري المتوفى سنة ٩٠٥هـ، تحقيق: محمد باسل عيون السُّور، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، طـ١، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
١٩- شرح الرضيّ المتوفى سنة ٦٨٨هـ على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، جامعة قازيونس- بنغازي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، طـ٢، سنة ١٩٩٦م.
٢٠- شرح شذور الذهب تأليف: محمد بن عبد المنعم الجَوجَري المتوفى سنة ٨٨٩هـ، تحقيق ودراسة: د/ نواف بن جزاء الحارثي، الناشر: عمادة البحث العلمي- الجامعة الإسلامية/المدينة المنورة، طـ١، سنة ١٤٢٤هـ.
٢١- شرح الكافية الشافية لابن مالك المتوفى سنة ٦٧٢هـ، حققه: د/ عبدالمنعم أحمد هريدي، دار المأمون للتراث، طـ١، سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٢- شرح المفصل لابن يعيش المتوفى سنة ٦٤٣هـ، تحقيق: د/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية- بيروت/ لبنان، طـ ١، سنة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
٢٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري المتوفى سنة ٣٩٣ هـ، تحقيق أحمد عبد الغفور العطار، دار العلم للملايين-بيروت/لبنان.
٢٤- الصناعتين "الكتابة والشعر" لأبي هلال العسكري المتوفى سنة ٣٩٥هـ، طبع برخصة نظارة المعارف الجليلة المرقمة ٥٤ بتاريخ ٤ محرم سنة ١٣١٩هـ في مطبعة محمود بك الكائنة في جادة أبي السعود في الأستانة العلية على نفقة السادات أحمد ناجي الجمالي ومحمد أمين الخانجي الكتبي وأخيه، سنة ١٣٢٠هـ.
٢٥- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المؤلف: يحيى بن حمزة العلويّ الملقب بالمؤيَّد بالله، المتوفى سنة ٧٤٥هـ، مطبعة المقتطف- مصر، سنة ١٣٣٢هـ - ١٩١٤م.
٢٦- الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، المتوفى سنة نحو ٣٩٥هـ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سَليم، دار العلم والثقافة/ القاهرة- مصر.
٢٧- القاموس المحيط للفيروزابادي سنة ٨١٧ هـ، وبهامشه تعليقات وشروح، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة ١٣٠١هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٨- الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قَنبر "سيبويه" المتوفى سنة ١٨٠هـ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي- القاهرة، طـ٣، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٩- الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي سنة ١٠٩٤هـ، قابله على نسخة خطية وأعده

للطبع ووضع فهارسه: د/عدنان درويش، و محمد المصري، مؤسسة الرسالة- بيروت.

٣٠- اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البناء عبد الله بن الحسن البكري المتوفى سنة ٦١٦هـ، تحقيق: د/عبد الإله نبهان، دار الفكر المعاصر، بيروت/ لبنان، دار الفكر- دمشق- سورية، ط١، سنة ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣١- لسان العرب لابن منظور ٧١٨ هـ، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف.

٣٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، لابن الأثير المتوفى سنة ٦٣٠هـ، قدمه: د/ أحمد الحوفي، د/ بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر- الفجالة/ القاهرة، ط ٢.

٣٣- المدخل إلى تقويم اللسان، المؤلف: ابن هشام اللخمي المتوفى: ٥٧٧ هـ، المحقق: أ.د/حاتم صالح الضامن، دار البشائر الإسلامية - بيروت /لبنان، ط١، سنة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

٣٤- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، تأليف: أحمد بن محمد الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠هـ، تحـ: د/عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، ط٢، سنة ١٩٧٧م.

٣٥- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري المتوفى سنة٧٦١هـ، تحقيق وشرح : د/ عبد اللطيف محمد الخطيب، الكويت، ط١٤٢١هـ -٢٠٠٠م.

٣٦- مفتاح العلوم للسكاكي المتوفى سنة ١٢٦ هـ ضبط وتعليق : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت لبنان ط٢، سنة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٣٧- المنهاج الواضح للبلاغة للشيخ حامد عوني، المكتبة الأزهرية- درب الأتراك.

٣٨- النحو الوافي، تأليف: عباس حسن، ط٣، دار المعارف- مصر.

٣٩- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تأليف: جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ، تحقيق: د/ أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت/لبنان، طـ١، سنة ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

كتب التراجم والطبقات

١- أبجديات البحث في العلوم الشرعية، تأليف: فريد الأنصاري، الدار البيضاء، طـ١، سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٢- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلَّها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، لابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر- بيروت/ لبنان، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٣- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجُمَحي المتوفى سنة ٢٣١هـ، الناشر: دار المدني- بجدة، تحقيق: محمود محمد شاكر.

٤- قصص الأنبياء، تأليف: المرحوم/ عبد الوهاب النجار، طـ٣، دار إحياء التراث العربي-بيروت/لبنان.

٥- هدية العارفين أسماء المؤلفين آثار المصنفين لإسماعيل باشا البغدادي المتوفى سنة ١٣٩٩هـ، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية- استنابول، دار إحياء التراث العربي- بيروت/ لبنان، سنة ١٩٥٥م.

كتب علم النفس

١- أصول علم النفس، تأليف: د/أحمد عزت راجح، أستاذ علم النفس بجامعة الاسكندرية، طـ٧، سنة ١٩٦٨م، دار الكتاب- القاهرة.

٢- الأمومة "نمو العلاقة بين الطفل والأم"، تأليف: د/فايز قنطار، دار المعرفة- الكويت.

٣- حقوق الطفل في الإسلام من المنظور النفسي والاجتماعي، تأليف: ناهد عبد الوهاب محمد صديق، تقديم: أد/علاء الدين أحمد كفافي، أستاذ علم النفس

والصحة النفسية، بمعهد الدراسات التربوية- جامعة القاهرة، أد/طه مصطفى أبو كريشة الأستاذ بكلية اللغة العربية بالأزهر، وفضيلة الشيخ/ محمد الراوي أستاذ التفسير وعضو مجمع البحوث الإسلامية، الناشر: المكتبة الأكاديمية، الطبعة الأولى، سنة ٢٠١٠م- ١٤٣٠هـ.

٤- الدوافع النفسية، د/مصطفى فهمي، دار مصر- الفجالة، طـ٣، سنة ١٩٥٥م.

٥- سيكولوجية الأمومة والطفولة، تأليف: عصام نور سرية، الناشر: مؤسسة شباب الجامعة- إسكندرية، سنة ٢٠٠٦م.

٦- الصحة النفسية للمرأة "صور من العيادة النفسية"، تأليف: د/محمد عبد الفتاح المهدي، دار اليقين- المنصورة، طـ١، سنة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٧- المرأة وقضاياها دراسة مقارنة بين النزعة النسوية والرؤية الإسلامية، المؤلف: مجموعة من المؤلفين، الناشر: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، سنة ٢٠٠٨م.

٨- المعاني "مصطلحات في علم النفس"، إعداد: د/ بديع عبد العزيز القشاعلة، إصدار: مركز السيكولوجي للخدمات النفسية والتربوية- رهط، النقب- فلسطين، سنة ٢٠١٨م.

٩- معجم علم النفس والتحليل النفسي، تأليف: د/فرج عبد القادر طه، د/محمود السيد أبو النيل، د/شاكر عطية قنديل، د/حسين عبد القادر محمد، والعميد/ مصطفى كامل عبد الفتاح، وإشراف: د/فرج عبد القادر طه، دار النهضة العربية- بيروت، ط١.

١٠- معجم المصطلحات النفسية والتربوية، تأليف: د/محمد مصطفى زيدان، دار الشروق- جدة/ السعودية، طـ١، سنة ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث	١٥١٩
مقدمة	١٥٢١
أهمية الموضوع وسبب اختياره	١٥٢٢
أهداف البحث	١٥٢٣
خطوات البحث	١٥٢٣
الدراسات السابقة	١٥٢٤
خطة البحث	١٥٢٥
المبحث الأول: الجوانب النفسية في شخصية موسى (عليه السلام)	١٥٢٩
المبحث الثاني: الجوانب النفسية في شخصية أم موسى (عليه السلام)	١٥٦٧
المبحث الثالث: الجوانب النفسية في شخصية امرأة فرعون	١٥٧٩
المبحث الرابع: الجوانب النفسية في شخصية أخت موسى (عليه السلام)	١٥٩١
المبحث الخامس: الجوانب النفسية في شخصية السحرة	١٥٩٥
المبحث السادس: الجوانب النفسية في شخصية مؤمن آل فرعون	١٦٠٥
المبحث السابع: الجوانب النفسية في شخصية ابنتي الشيخ الكبير	١٦٠٨
المبحث الثامن: الجوانب النفسية في شخصية فرعون	١٦١٨
المبحث التاسع: الجوانب النفسية في شخصية قوم موسى (عليه السلام)	١٦٢٧
خاتمة	١٦٣٩
فهرس المصادر والمراجع	١٦٤١
فهرس الموضوعات	١٦٦٣

تم بحمد الله